الثدييات آكلة اللحوم

الثدييات آكلة اللحوم أربع عوائل، هي القطية والكلبية والضبعية والعرسية. وفي كل عائلة منها عدد من الأجناس والأنواع. ويجمع بين أجناس وأنواع هذه العوائل جميعها أنها وحشية غير مستأنسة، تعيش على اصطياد فرائسها. وقد تكيفت للعيش في أصعب الظروف البيئية. ونذكر الحيوانات مرتّبين العوائل وأنواعها وفقاً لنسبة وجودها في الجزيرة العربية.

العائلة القطية (السنورية)

في هذه العائلة القط البري، وقط الرمال والوشق والنمر والفهد والأسد. وتمتاز أفراد هذه العائلة بأجسامها فهي رشيقة متطاولة، وأطرافها قوية متوسطة الطول، وأقدامها عريضة سميكة، وأطراف الأصابع هي التي تمس الأرض عند المشي، وعدد الأصابع خمسة في الأطراف الأمامية، وأربعة في الأطراف الخلفية. ومخالبها حادة تنكمش داخل أغماد. وتمتاز الجمجمة بقصر الخطم، ومحجر العين كبير، والفكان قويّان، والقواطع صغيرة، أما الأنياب فكبيرة مخروطية الشكل مدببة. وحاسة السمع قوية، وهي التي تساعد الحيوان على الاهتداء إلى الفريسة، وحاسة الشم ضعيفة.

تستوطن أفراد هذه العائلة مناطق العالم، عدا أستراليا وبعض الجزر البحرية. ويعيش على أراضي الجزيرة العربية في الوقت الحاضر أربعة أنواع من السنانير، هي القط البري (التفه)، وقط الرمال، والوشق أو عناق الأرض، والنمر العربي. أمّا الأسد فيعتقد بأنه انقرض منها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والفهد يعتقد أنه انقرض منها في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الحالي.

التُّفَّة. وهو القط البري ويسمى الهر البري، والسنور البري، والخيدع، والخيطل، والضيّون، والثفا. والأنثى قطة والجمع قطاط وقططة. وكنيته أبو خداش، وأبو غزوان، وأبو شماخ. والقط البري حيوان صغير الجسم، وقد يكون أكبر أو أصغر قليلاً من القط الأليف. جسمه مغطى بشعر ناعم كثيف، وخطمه قصير، وعيناه كبيرتان متجهتان إلى الأمام، والأذنان مذببتا النهاية، وخصلة الشعر في طرف الأذن لا تتجاوز ٥ مليمترات. الأطراف متطاولة وراحة الأقدام عارية من الشعر، واللون العام للجسم رمادي مغبر، أو رمادي مصفر مع بقع خفيفة وسط الجهة الظهرية معتمة وخاصة الجهة الخلفية، والجهة البطنية تميل إلى البياض، ويكسو الذيل شعر كثيف على نصفه الطرفي أربع أو خمس حلقات مسودة، ونهاية الذيل سوداء.

القط البري (التفة)

القط البري

قال عنه الدميري: وكل من السنور الأهلي والبري له نفس غضوب، يفترس ويأكل اللحم الحي. ويناسب الإنسان في أمور منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده. ويضرب به المثل في سرعة الاختطاف فيقال «أثقف من سنور»، والثقف هو الأخذ بسرعة. وقالوا «كأنه سنور عبدالله»، يضرب لمن لا يزيد سناً إلا زاد نقصاناً وجهداً. وفيه قال بشار بن برد:

أبا مخلف ما زلت نباح غمرة
صغيراً فلما شبت خيّمت بالشاطي
كسنور عبدالله بيع بدرهم
صغيراً فلما شب بيع بقيراط

يتغذى القط البري بالقوارض كالفئران والجرذان، والزواحف كالحيات والسحالي، والحشرات.

تبدأ فترة التزاوج في شهر فبراير وتكون الحيوانات في هذه الفترة مزعجة تصدر أصواتاً عالية، وتتراوح مدة الحمل ما بين ٥٥و٨٠ يوماً تلد الأنثى بعدها ما بين ١ إلى ٦ أدراص (أولاد) والمعدل أربعة، ويرجح أنها تحمل أكثر من مرة في السنة. ويقول الدميري: «وتحمل الأنثى في السنة مرتين ومدة حملها خمسون يوماً».

الوشق أو عَناق الأرض. قال الدميري: العناق دابة من السباع أكبر من القط البري بقليل، وجمعها عنوق. وهو العِنزَة بكسر النون وفتح الزاي، ومن أسمائها أيضاً (التُّمبَلة) بضم التاء ثم فتح الباء، والغنجل وجمعه غناجل. وقد جاء في كتب السلف أنه أيضاً التفه بضم التاء وتشديد الفاء المفتوحة، وقد تخفف. ولعلهم خلطوا أو هكذا عرف عندهم، والحقيقة أن التفة يطلق على القط البري والقط الرملي وهما نوعان من نفس العائلة لكنهما أصغر حجماً من الوشق ويعيشان أيضاً في الجزيرة العربية. وقد وصفه الناشئ في أبيات منها:

عناق الأرض

حلـو الشـمائل فـي أجفـانه وطـف
صافي الأديم هـضيم الكشـح ممسود
فـيـه مـن الـبـدر أشبـاه تـوافـقـه
مـنهـا لـه سفـع فـي وجهـه سـود
كـوجـه ذا وجـه هـذا فـي تـدوره
كـأنـه منـه فـي الأجـفان مـعـدود
لـه مـن اللـيـث نـابـاه ومخـلـبـه
ومن غـرير الـظبـاء النـحر والجـيد
إذا رأى الصـيد أخفـى شخصه أدبـاً
وقـلبـه باقـتـناص الـصـيد مـزؤود

وهو من الحيوانات التـي تعيش في المناطق الصحراوية في جنوب غرب آسيا والجزيرة العربـية وأفريقيا. ويعيش في بيئـات مختلفـة، مثل الجبال والـوديان ويفضل المناطق الـبعيدة عن التجمعات السكنية والمناطق المأهولة.

ويشبه عَنَـاق الأرض القط الكبير، أو النمـر الصغيـر، فالوجه مـستدير، والعـينان صـفراوان، وتنـتهي الأذنـان بخصلة شعر طـولها من ٥ إلى ٦سم، وهي علامة مميزة له ولذلك يطلق عليه أهل السودان أم الريشات. وفروه قصير، لونه رملي أو محمر يميل إلى الرمادي، مع لون قاتم على سطح صيوان الأذن، والصيوان قـصير صغير مقارنـة بحجم الحيوان، وقد أعطاه الفكان القويان وجهاً عريضاً مستديراً، جعلت هذه الصـفات من عناق الأرض حيوانـاً مشابهاً للنمر الصغير، لذلك يخطىء كثير من الناس في تحديد هويته.

يعيش الوشق في مناطق عديدة من الجزيرة العربية، خاصة في جبال الحجاز واليمـن وعمان. وهو يـفضل المناطـق الجبلية حيث يعيش في الشقوق والجحور الآمنة ولا يأتي الوديان إلا قليلاً، ويتغذى بالقوارض والطيور والوبران وصغار الظباء والماعـز وربما الضـعيف والـهزيل مـن كبارهـا. ينشط خلال الـليل والنهـار، ونشاطه في الصيف خلال الليل فقط. وعناق الأرض صياد مـاهر، قادر على صيد الطـيور عندما تهم بـالطيران، أو عندما تأتي لشرب الماء، ويستطيع تسلق الأشجار وأخذ الـطيور من أعشاشهـا؛ يقول أحمد بن طاهر يصف مهارته في الصيد:

ويـل نـبـات الأرض مـن لـعـوب
اذا اغـتدت بـصـاحب مـصـحوب
عـاصٍ عـلـى المـلام والـتـأنـيـب
فـأشـرفـت من جـانـبـي كـثـيـب

إلى أن يقول:

وانـدفـعت كـالـفـرس اليـعـبـوب
وخـفـيـت كـالـقـاتل المـطـلـوب
وظـهـرت كـالـطـالـب الـقـريـب
فـرجـعـت بـثـعـلـب مـسـحـوب

وأتبعت بأرنب مجنوب
أريبة تأوي إلى أريب

ويمكن لعناق الأرض أن يعيش على القليل من الغذاء، ولا يحتاج إلى الماء لفترة طويلة، حيث يأخذ من فرائسه ما يحتاج إليه من الماء.

يتزاوج عناق الأرض خلال فصل الربيع، وتلد الأنثى من ٢ إلى ٣ صغار، بعد فترة حمل تتراوح بين ١٠ و ١١ أسبوعاً، ويعمر الحيوان حوالي ١٧ سنة تقريباً.

النمر العربي. هو ضرب من السباع عند العرب، يشبه الأسد إلا أنه أصغر منه جرماً. ويجمع على أنْمُر ونُمُر ونمور ونِمار وأنمار، ويقال للأنثى نمرة وجمعها نمرات. وسُمِّي نمراً لأنه أنمر أي مرقط، ومن أسماء النمر الأبرد والأنثى أبردة، ويقال له العُسبر والأنثى عسبرة. ويوصف صوته إذا غضب وصاح بالتزمجر، ويقال لصوته في نومه الخرخرة والهرير والغطيط، وكنيته أبو الأبرد وأبو جعدة وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الأسود وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهل وأبو عمرو وأبو المرسال. وكنية الأنثى أم الأبرد وأم رقاش.

وقد اشتق العرب من لفظ النمر أسماء وأوصافاً عديدة، فيقال للفرس الذي في جسمه بقعة بيضاء أو من لون آخر: فرس أنمر، وأنمار حي من خزاعة، والنسبة إليه أنماري، والنمِرة شملة أو بردة فيها خطوط وألوان مختلفة يلبسها الأعراب، والنمير الماء الكثير، ونمر

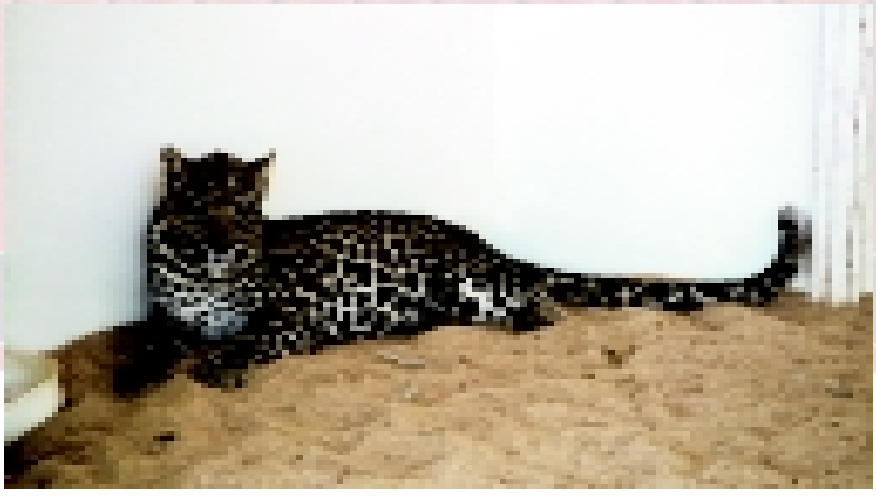

النمر العربي

الرجل وتنمّر إذا تنكر وغضب، لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضبان، وتدل هذه الحالة على الرجل السيئ الخلق.

والنمر معروف بحدة الطبع، وتجهم الوجه، وشدة الغيظ، والشراسة وقوة البأس، ولذلك وصفوا به من تخلق بأخلاقه، فقالوا في الرجل إذا اشتد غضبه: لبس جلد النمر؛ قال عوف بن عطية يفتخر بشدة بأس قومه في الحرب:

ونلبس للعدو جلود أُسْدٍ
إذا نلقاهُمُ وجلودَ نمر

وقال أبو جندب الهذلي:

وتُقْطَع بيننا رحمٌ إذا ما
لبسنا للكماة جلود نمر

ويرى العرب أن منزلة النمر من السباع في المرتبة الثانية من الأسد.

ينتشر النمر في أفريقيا وجنوب آسيا حيث تعيش منه عدة أنواع في البيئات التي تتدرج من الغابات ذات الأشجار الكثيفة إلى المناطق الصحراوية القليلة النباتات، وقد أدى التنوع الكبير في البيئات التي يعيش فيها النمر إلى حدوث اختلافات في حجم الجسم، وأشكال البقع على الجلد. وهذه الاختلافات كبيرة واضحة في بعض المناطق المعزولة، مثل الجزيرة العربية التي تتميز النمور فيها بلونها الترابي وبالبقع السود المفتوحة التي تشبه الورد على جوانب الجسم. كذلك يتصف النمر بصغر جسمه إذ لا يزيد طوله عن ١٣٠سم، فهو أصغر من النوع الأفريقي الذي يبلغ طوله ١٨٠سم. ويقول الدميري: وهو صنفان، صنف عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس، وكله ذو قهر وقوة وسطوات صادقة ووثبات شديدة. وقد يكون صغر الجسم، وتنوع الغذاء، والحذر الشديد الذي يتصف به، ووعورة البيئة التي يعيش فيها، من أهم عوامل بقاء النمر العربي في شبه الجزيرة العربية طوال تلك المدة. ومن الأسباب الأخرى التي ساعدت على بقاء النمر العربي قدرته على تحمل العطش، فهو يكتفي بقليل من الماء، وقد يعتمد كلية على ما يتوافر من الماء في فرائسه، وكذلك قلة احتياجه إلى الغذاء، فقد وجد أن النمر البالغ يستطيع أن يعيش على ٣ كيلوجرامات فقط من الغذاء على الرغم من أنه يتجول لمسافة قد تصل إلى ٢٥ كم في الليلة الواحدة.

وما زال النمر العربي يعيش بأعداد قليلة في المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وفي مناطق قليلة من جبال الحجاز. كما يعيش أيضاً في المناطق الجبلية من اليمن وسلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة. وقد كان

مستوطنا في المناطق الوعرة من أعالي الجبال حيث تكثر فرائسه، ولكن أعداده تناقصت تناقصاً شديداً لاستمرار قتل الأهالي له.

ويقتل أهالي المناطق الجبلية النمر إما دفاعاً عن النفس، أو بسبب مهاجمته للحيوانات المستأنسة أو للحصول على شحمه الذي يستعمل في الطب الشعبي علاجاً للروماتزم، كما يبيعون جلده بثمن غال، لرغبة الكثيرين في شرائه.

يعيش النمر في مقاطعات يحميها من الحيوانات الأخرى، ويحددها بعلامات مميزة واضحة، مثل: رش البول أو خدش الأشجار، أو حرث التربة بمخالبه، أو مسح الوجه أو الأعضاء التناسلية في أمكنة بارزة منها، وهو يتجول فيها بطيئاً باستمرار لحمايتها ومعرفة الفرائس فيها. وتختلف مساحة المقاطعة حسب درجة ثرائها بالفرائس. ولا يتحمل النمر مشاركة نمر آخر يعيش في مقاطعته. أو أيّ أنواع أخرى من الحيوانات فيها، وهو أعدى عدو للحيوانات، لا تروعه سطوة أحدها، وهو معجب بنفسه، فما أكثر أنواع الحيوانات التي يقتلها لمجرد دخولها إلى مقاطعته، مثل الضباع والقطط وأحياناً بعض الطيور، ثم يتركها فلا يأكلها.

وتتعرف النمور على وجود أفراد أخرى، بإصدار الأصوات، وهي أصوات تختلف من فرد لآخر، وكذلك بوجود الخدوش على الأشجار والأرض، ورائحة البول في المناطق الظاهرة. ويساعد إصدار الأصوات على تجنب المواجهة التي قد تكون خطرة خاصة في موسم التزاوج. وقد وجد أن التجنب الحذر أكثر من المواجهة. ومن طبيعة النمر الجثوم على مرتفع أو شجرة بارزة بحيث يمكن غيره مشاهدته بسهولة، ومن ثم تجنب منطقته، ولا تواجه النمور البالغة نموراً أكبر منها لذا تبتعد عن الموطن الذي يعيش فيه أفراد المجموعة. وقد يدفعها ذلك إلى مهاجمة الماشية والكلاب والحمير مما يغضب السكان، ويحملهم على ملاحقة هذه النمور وقتلها.

ويتغذى النمر بعدّة أنواع من الطرائد الكبيرة والصغيرة، وعلى الرغم من قدرته على قتل طرائد كبيرة، مثل الوعول والظباء وقرود البابون وغيرها، فإن معظم غذائه من الحيوانات الصغيرة، مثل الأرانب والوبران والقوارض والطيور. وقد وجد أنه يأكل أيضاً الثعالب والكلاب والجمال والماشية. ولا يعدو النمر خلف الفريسة مسافة طويلة، بل يكمن لها وينقض عليها من مسافة قصيرة، وقد

ينقض من شجرة أو صخـرة على ظهر الفـريسة، ويسـتخدم يده الـقوية ذات المخالب البارزة في الضربة الأولى، ثم يتبع ذلك بعض العنق عضة قويّة تخنق الفريسة، أما الفرائس الكبيرة فيلوي الرقبة بقوة حتى يكسرها. قال عنه الدميري: وهو نهوش خطوفٌ بعـيد الوثبة، فربما وثب أربعين ذراعاً صعوداً.

ويعتقد أهل البادية أن النمر عف لا يأكل الغنم، بل يأخذ الطرائد الكبيرة. ولكنه في الأزمان المتأخرة، بعد أن قلت الطرائد والحيوانات الفـطرية في المناطق التي يعيش فيها، اضطر إلى أكل طرائد أخرى كالثعالب والوبران وغيرها. وهناك حوادث عديدة يهاجم فيها الجمال والماشية ويفترسـها، فإن لم يصد فإنـه لا يأكل شيئـاً، ولا يأكل من صيد غـيره وينزه نفسه عن أكل الجيف.

كما يعتقد أهل البادية أن النمر سبع قوي لا يطيق أحداً في مقاطعته، خاصة في وقت جريته وهيجانه، أي في وقت تزاوجـه وتكـاثره، وذلـك في أواخـر الصيف وأوائل الشتاء مثل الجمال، وفي هذا الوقت لا يـقر له قرار، يمشي مـن جبل لآخر، ويعدّ هذا الوقت من أخطر الأوقات للقناصة، وإذا رماه القناص ولم يصبه، قفز عليه وقتله إن لم يكن حذراً، ويعتقد القناصة أن النمر يقفز على القناص -إذا رآه- مع انطـلاق الرصاص، ولذا فإن معظم الصيادين يخافون رميه لخوفهم منه، ويلجأون إلى الاختفاء عنه. وبعد انتهاء وقت الشتاء وموسم التكاثر، يقل خطر النمر لكنه يقف ولا يجفل أو يهرب ما دمت تنظر إليه. وهـو في ذلك مثل الرجـل الشهـم الحي الـذي لا يرضى بالتنازل أو الـنكوص، وينصحونك إذا قابلته وليس لك طريق أن تتغافل عنه، أو تصد إلـى جهة اليمين أو الـشمال، فعند ذلك يذهب ويفسح الطريق، وإذا لم تغفل عنه فإنه لن يتحرك عن مكانه. ويذكر أهل البادية كثيراً من حوادث القتل التي حدثت بسبب أن القناص رمى النمر وأخطأه، فانطلق النمر على الصياد مثل السهم فضربه. وهو يقتل بيده ويستخدم مخالبه، فيهشم الرأس والعظام.

ولكن أهل البادية يعـتقدون أن ثمة سبعاً أقوى من النمر، وهو مسلط عليه، هو الضبع، ويحكون أن نمـراً مر بجبل وصاد غزالاً أو شاة، ثم جلس بعد موتها استعداداً لأكلها، فجاء ضبع بعد أن شم رائحة الدم الذي ملأ جو المكان، اقترب من الطريـدة، فرفع النمر يده ليـضرب الضبع ويبعده عن طريدته، وعندما أشار النمر بيده ليضربه، تلقاه الضبع بعرتمته،

و(هي مؤخرة الرأس أو العلباة وهي مثل الصفاة لا يشقها شيء). ثم استدار الضبع عليه وحسك يده بأنيابه، وقف النمر على يده المكسورة، ورفع يده الأخرى ليضرب الضبع، فتلقاه مرة أخرى بعرتمته ثم حسك اليد الأخرى، فانكفأ النمر على يديه المكسورتين. وأقبل القناص الذي كان يراقب المنظر منذ بدايته من بعد، وقتل الضبع، وذكّى الصيدة، ثم قطع يد الصيدة ويد النمر ويد الضبع، وحملها إلى عربه -منازله- وقال هذه ثلاث صيدات فأين صيدي؟ وأين صيد غيري؟ قالوا، الصيدة صيدة النمر، وأما النمر فصيدة الضبع.

ومعظم أهل البادية يعتقدون بشهامة النمر ونبله. ومن ذلك أن بعضهم، حتى وقت قريب، كان يأكل الطريدة التي يقتلها النمر، ويعتقدون كذلك أن النمر، من شهامته، يقدر ويحترم المرأة والطفل، ولا يعتدي عليهما، وإن أخذوا فريسته من تحت يده، ويقولون إن النمر لو قتل شاة للمرأة وأتت إليه وأخذت الشاة من تحت يده لا يردها، شريطة أن تعرض عنه ولا تنظر إليه، ولكن الرجل لا يمكن أن يفعل ذلك.

تتوالد النمور إذا توافرت لها الظروف المناسبة مثل الطعام والحماية، وهي تتزاوج خلال الشتاء. وعندما تصل الأنثى إلى مرحلة التزاوج تظهر عليها علامات الدورة النزوية أو الشبق، التي تتميز بكثرة رش البول والنداء المتكرر فيطلبها الذكور، وحالما ترتبط بذكر منها في المقاطعة تتم عملية التزاوج. وتستمر فترة الحمل حوالي مئة يوم، وتلد الإناث من جروين إلى ستة جراء عُمْيٍ قليلة الحيلة، غير قادرة على الحركة، وتفتح عيونها بعد مرور ستة أيام إلى عشرة، وتبدأ في أكل المواد الصلبة خلال شهرين، وتفطم بعد ثلاثة أشهُر. تبلغ النمور بعد عامين أو ثلاثة أعوام وتعيش إلى عشرين عاماً.

قط الرمال. قط صغير الجسم نسبياً يطلق عليه تفه السهل، له وجه عريض وأذنان كبيرتان عريضتان، ولون الجسم بشكل عام رملي باهت، والبطن والجهة الداخلية للأطراف تميل إلى البياض. راحة الأقدام مكسوة بخصلة من الشعر الطويل، وهناك خطان أو ثلاثة خطوط سود في منطقة المرفق. وهو من الحيوانات النادرة في المملكة، ويعيش في المناطق الرملية.

وتسمى في العديد من المناطق بالتفه، وهو اسم شائع في شمال الحجاز، وتسمى في بعض المناطق الشمالية بالقُرَطة بضم الراء وفتح الطاء. وقد أخذ هذا

قط الرمال

الاسم من سلوكها في افتراس كثير من الحيوانات، بخاصة الكبيرة منها مثل الماشية، وفي بعض الأحيان الجمال والحمير، حيث تختفي تحت الشجيرات التي تتغذى بها الجمال أو الماشية مثل نبات الشيرن، حتى يأتي الحيوان لأكل النبات، فتمسك بفمه أو أنفه بأسنانها، وتقرط عليه بشدة، ولا تتركه حتى يموت، أو تموت هي.

يتغذى قط الرمال بالحيوانات الصغيرة التي تعيش في بيئته الصحراوية، كالسحالي والطيور والقوارض الصغيرة. ويعتقد أنه يمكنه البقاء فترة طويلة دون أن يشرب الماء. ويتوالد عادة في فصل الربيع حيث تضع الأنثى من ٢ إلى ٣ أدراص (صغار).

الفهد. تسميه العرب فهداً وجمعه فهود والأنثى فهدة، والجرو يقال له الهوبر والأنثى هبيرة، ومن أسماء الفهد الكثعم، والكشيم، ويقال للأنثى كشمة.

كان الفهد حتى وقت قريب منتشراً في مناطق الأعشاب المدارية (السفانا) والأحراش والمناطق شبه الصحراوية في أفريقيا وجنوب غرب آسيا. وقد انحسر اليوم من مناطق انتشاره السابقة، عدا بعض المناطق المحمية أو المتنزهات الوطنية

التي تمتاز بوفرة فرائسه من الظباء، وكانت آخر معاقل الفهد في الجزيرة العربية في السهول الشمالية من المملكة، وفي مناطق المهرة بظفار حيث عاشت مجموعات قليلة. وكانت آخر مشاهدة للفهد في المملكة في عام ١٩٧٣م حيث قتل أحد الحيوانات قرب حائل كما شوهد آخر مرة في عُمان في عام ١٩٧٧م.

ويمتاز الفهد بأرجل طويلة، وصدر ضيق ضامر، ورأس صغير، وعينين لونهما برتقالي أو بني. وهو سريع الحركة، مجدول العضلات تصل سرعته إلى ١٢٠ كم في الساعة لمسافة غير طويلة، ويعدّ من أسرع الحيوانات الأرضية، ولكنه يتعب بعد أن يقطع بضع مئات من الأمتار. وله حاسة سمع شديدة يعتمد عليها في صيد فرائسه، أما حاسة الذوق لديه فهي ضعيفة، ويشبه صوته صوت القط. يصل طول الحيوان البالغ حوالي ١٦٠سم، وارتفاعه عند الكتف حوالي ٧٥سم، ويبلغ طول الذيل حوالي ٧٠سم، وقد يصل وزنه إلى ٦٠كجم.

ويشبه الفهد النمر في شكل جسمه لكنه يمتاز عنه بخط قاتم يمتد من ركن العين الداخلي حتى الشفة العليا. بالإضافة إلى صغر الرأس وطول الأرجل ورشاقة الجسم بشكل عام. والبقع السود في جلد الفهد مصمتة مفردة، أما في جلد النمر فهي مجموعة من النقط التي تكون بقعة واحدة مفتوحة.

يتغذى الفهد بالطرائد التي ترتاد السهول الغنية بالنباتات مثل الظباء

الفهد

والغنم والماشية، ويعتمد في أخذ فريسته على السير البطيء المتخفي، ثم المطاردة السريعة المفاجئة التي يحاول بها طرح الطريدة والقبض على رقبتها وخنقها حتى تموت، ويساعده في ذلك فكاه القويان اللذان يمكنانه من القبض بسهولة. وعادة يختار الإناث التي على وشك الولادة أو الصغار أو الضعاف التي لا تقدر على العدو بسرعة. وبعد أن يرتاح الفهد من عناء الجري السريع يلتهم معظم لحم الطريدة ثم يترك بقاياها ويغادر المكان. وغالباً ما يصطاد الفهد خلال ساعات الصباح الأولى وفي المساء، وأحياناً يصطاد ليلاً في ضوء القمر، ولا ينشط خلال ساعات اشتداد الحر عند منتصف النهار.

ويمكن أن يترك الفهد طريدته إذا نافسه عليها حيوان آخر أقوى منه، حيث شوهد في أوقات كثيرة تطرده عن فرائسه مفترسات أخرى أقوى منه، مثل الأسود والضباع والكلاب البرية الأفريقية.

والفهد معروف بكثرة نومه وتمدده وتغافله عما حوله، ويقال إنه يشبه الكلاب في حب النوم وإنه يأنس لمن يحسن إليه. وقد وصفت أم زرع زوجها بقولها «إن دخل فهد وإن خرج أسد، لا يسأل عما عهد». تعني بذلك وصف زوجها باللين والسكون إن كان معها في البيت، وأنه يغفل عن معايب البيت التي يلزم إصلاحها، فهي تصفه بالكرم وحسن الخلق لعدم سؤاله عن ذلك. وقد ورد في الأمثال «أنوم من فهد، وأوثب من فهد، وأكسب من فهد» وذلك لأن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتي فيصيد لها في كل يوم شبعها. وجاء ذكره في المثل الشعبي «أكل الفهود ولا أكل السنانير» أي أن أكون طعاماً للفهود خير من أن أكون طعاماً للسنانير وهي القطط.

يتم التزاوج في فصل الشتاء، وتقدر فترة الحمل بثلاثة أشهر، وتختار الأنثى مكاناً آمناً بين الأدغال أو تحت الشجيرات عند الولادة. وتلد من ٢ إلى ٤ صغار، تولد الصغار عُمْياً مكسوة بشعر طويل ذي ألوان زاهية على الأكتاف، ولها أعراف فضية جميلة، وتبقى الصغار مع الأم لمدة سنة تقريباً، ثم تبدأ في الاعتماد على نفسها للحصول على فرائسها. تعمر الفهود في الأسر إلى خمسة عشر عاماً لكنها قد لا تصل إلى هذا العمر في بيئتها الطبيعية.

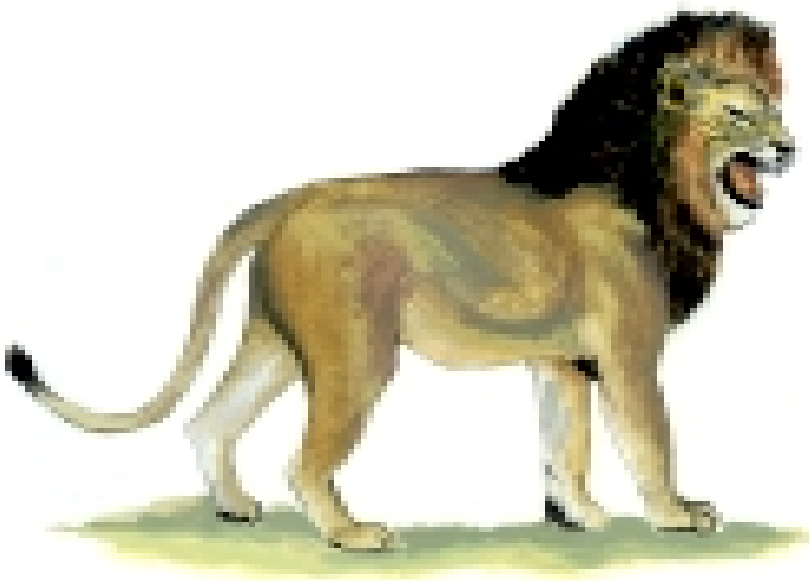

الأسد

الأسد. سيد السباع له تقدير خاص عند الإنسان، ولذا ورد ذكره كثيراً في الأدب من نثر وشعر وقصص وأمثال. وذكر الدميري قول ابن خالويه: أنّ للأسد خمس مئة اسم وصفة، زاد عليها علي بن جعفر بن قاسم اللغوي مئة وثلاثين اسماً، فمن أشهرها أسامة وحيدرة والخادر والدواس وساعدة، وهي أسماء شائعة في بعض مناطق المملكة، والصمة أي الشجاع والسبع والضرغام والليث والهزبر والهمام والورد والقسورة والغضنفر والرئبال وعنبس والهرماس.

وتسمى أنثاه أسدة ولبؤة، ويقال لولده جِرو وجمعه جراء، وشبل وحفص، ويكنى الأسد أبا الحارث وأبا الأشبال وأبا حفص وأبا العباس وأبا فراس، ويوصف صوته بالزئير والنهيم والزمجرة.

تعيش الأسود في المناطق السهلية ومناطق الشجيرات الشوكية حيث فرائسها من الظباء والحمر الوحشية وغيرها من الظلفيات، مع توافر مصادر مياه الشرب، وكانت الأسود قديماً تعيش في جنوبي شرق أوروبا والشرق الأوسط والهند ومعظم أجزاء أفريقيا، ولكن استقرار الإنسان في هذه المناطق أدى إلى قتل أعداد كبيرة منها مما أدى إلى انقراضها من تلك المناطق عدا بعض أجزاء وسط

أفريقيا، وأعداد قليلة في غابة جير في الهند.

والأسد أكبر أفراد العائلة القطية وأقواها، وزن الذكر ١٧٠كجم تقريباً ويصل طوله من الرأس إلى نهاية الذيل إلى حوالي ٣م. والأنثى أصغر من الذكر جسما ووزناً إذ تزن ١٣٠كجم تقريباً، وهي أقصر من الذكر بحوالي ٣٠سم.

تمتاز الأسود بأنها الوحيدة من بين أنواع العائلة السنورية التي لذكورها لبدة تغطي الرأس والعنق إلى الكتفين، ويكتمل نمو اللبدة عند بلوغ الذكر الخامسة من عمره، ويوفر هذا الشعر أو اللبدة الحماية لعنق الأسد المعرضة للخطر أثناء الصراع مع الذكور الأخرى، بالإضافة إلى الهيبة التي يكسبها له للتأثير على خصومه وعلى الإناث.

يعيش الأسد حياة جماعية، وتضم المجموعة من ١٠ إلى ٢٠ فرداً، وقد تصل إلى ٣٥ فرداً. وتتكون الجماعة من ذكر إلى خمسة ذكور وعدة إناث وجراء وأشبال، وقد تتفرق الجماعة لكنها عندما تلتقي يحيي أفرادها بعضهم بعضا بحك الخد بالخد.

تعيش جماعة الأسود في مقاطعات منفصلة تكفل لها الغذاء والماء، وتعتمد مساحة المقاطعة الواحدة على عدد الفرائس التي تضمها، وقد تتسع إلى مساحة ٢٦٠ كم^{٢} في المناطق التي تشح فيها الفرائس. وتحمي الأسود المقاطعة بتعليم الأحجار والشجيرات بخليط من البول والرائحة الخاصة المميزة لتحذير الغرباء من دخولها، وكذلك بإصدار الأصوات، وقد تقتل الدخيل إذا تجاهل تلك التحذيرات، وتبقى الجماعة معاً لعدة سنوات ولكن قد تحدث بعض التغيرات في تركيبها من وقت لآخر، فعادة تُطرد الذكور عند بلوغها العام الثاني أو الثالث، وتبقى خارج الجماعة حتى تبلغ، وقد ينافس أحد المطرودين ذكر الجماعة البالغ ويحل محله في قيادتها.

وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع، وكان يظن أنه من شرف نفسه لا يأكل من فريسة غيره، وإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها، وهذا غير صحيح. وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب. وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

وأترك حبها من غير بغض
وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام
رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء

إذا كان الكلاب ولغن فيه

ويوصف الأسد بالشجاعة والجبن، فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك، ونقر الطست، ومن السنور، ويتحير عند رؤية النار، وهو شديد البطش ولا يألف شيئاً من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه.

وقد اشتهر الأسد عند العرب من بين سائر الحيوانات بالنبل، ولذا كُنِي حمزة بن عبدالمطلب # «أسد الله»، وقد كان شائعاً بين كثير من أهل البادية حتى وقت قريب نبل السباع عامة ولذلك يأكل كثير منهم فريسة السبع ولا يعدّونها ميتة. وقد ورد في الأمثال ما يدل على هذا المعنى فقيل «النهر يشرب منه الكلب والأسد» وقيل «الجوع يرضي الأسود بالجيف».

كما ضربوا المثل بالخوف من الأسد، يقول مجنون ليلى:

يقولون لي يوماً وقد جُبت حيَّهمُ

وفي باطني نار يشب لهيبها

أما تختشي من أسدنا فأجبتهم

هوى كل نفس أين حل حبيبها

وضربوا المثل أيضاً بأسد «الشرى» وهو طريق بسلمى كثيرة الأسد قال الفرزدق:

وإنَّ الذي يسعى يحرش زوجتي

كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال الأشهب بن رُمَيْلة:

أسود شَري لاقت أسود خَفِيّة

تساقوا على لوح دماءَ الأساود

والشرى وخفيّة مأسدتان كانتا معروفتين.

ومن أمثال العرب في صفات الأسد قولهم: أكرم من الأسد، وأكبر من الأسد، وأجرأ من الأسد، وأشجع من الأسد، وأبخر من الأسد وذلك أن الأسد إذا أكل نهس من غير مضغ، وريقه قليل جداً، ولذا يوصف بالبخر وله نكهة قوية. قال أحد الشعراء يهجو داود بن بشر عندما وُلّي الولاية في فارس والأهواز:

قد ولي فارس والأهـ

ـواز داود بن بشر

وله لحية تيس

وله منقار نسر

وله نكهة ليث

خالطت نكهة صقر

وتتزاوج الإناث في السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها، وتضع حملها بعد أربعة أشهر ونصف. تضع الأنثى من ٢ إلى ٥ أشبال في المرة الواحدة والأغلب من ٢ إلى ٣ أشبال. ونقل الدميري مما

يزعمه أصحاب الكلام في طبائع الحيوان أن الأنثى لا تضع إلا جروا واحداً تضعه لحمة ليس فيه حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرّة بعد المرّة حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته، ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب. وهي مزاعم لا أساس لها فالجرو يولد كامل التكوين غير أنه أعمى. وتولد الصغار عُمْياً لا تعتمد على نفسها، وتزن حوالي ١,٥ كجم. وليس للأسود عرين ثابت، ولذا تحمل الأم صغارها بفمها لتنقلها من مكان لآخر، وقد تتعرض الصغار للافتراس، تفترسها الضباع والنمور أو الأسود الأخرى عندما تكون الأم بعيدة عنها. وتهتم الأنثى عادة بالصغار حتى سن الثانية من العمر، حين تصبح الصغار قادرة على الصيد بأنفسها.

عرف عن الأسود أنها تعمر من ١٥ إلى ٢٠ سنة، وقد تعمر مأسورة في حدائق الحيوان إلى ٢٥ عاماً. وقد انقرض الأسد كلية من الجزيرة العربية، ويعود سبب انقراضه إلى التغير في المناخ، فالأسد يحتاج إلى الماء باستمرار ولذلك كان آخر البيئات التي عاش فيها بعض أنحاء اليمن وبلاد ما بين النهرين، وقد ذكر بعض عرب الجنوب للرحالة داوتي خلال عام ١٨٨٠م أن الأسد كان موجوداً في بعض مناطق اليمن، ومن المحتمل أنه انقرض خلال تلك الفترة، فلم تتوافر أي معلومات عن وجوده بعدها. ولكن لانقراض الأسد في الثقافة الشعبية قصة أخرى، فقد زعموا أن الثعلب كان في خدمة الأسد فكان يجد من ذلك المشقة الكبيرة والعنت والإذلال، فأضمر أن يتخلص من ذلك بلطف الحيلة، فأعد مصيدة بأنشوطة حبل، وزعم له أنها مفيدة لصحة الجسد وتمرينه وتلطف بإغراء الأسد ليجربها فانخدع الأسد ووقع في المصيدة، ثم إنّ الثعلب أخذ يحقر الأسد، فلما بلغ منه الكرب مبلغه اشفقت عليه الفأرة فقرضت الحبل ثم سارت متبخترة تمنّ عليه أن أطلقته، فأقسم أن يغادر أرضا ضحك عليه فيها الثعلب المكار ومنّ عليه فيها الفأر.

العائلة الكلبية

من العائلة الكلبية الذئب وابن آوى والكلب والثعلب وأنواع أخرى مشابهة. وهي منتشرة في أنحاء العالم، والإنسان

أحد أسباب انتشارها في مناطق لم تكن تسكنها من قبل.

وتمتاز أفراد هذه العائلة بتكيفات متعددة، فالجمجمة مستطيلة، تحوي تجويفاً أنفياً كبيراً يدل على قدرة شم عالية، ويحوي الفم أنياباً طويلة قوية، وللأضراس الأمامية (الضواحك) أطراف حادة، أما الأضراس الخلفية (الطواحن) فسطح معد للتحطيم أو السحق، مما مكنه من تنويع الغذاء خلافاً للعائلة القطية المتخصصة في غذائها. ولها خمسة أصابع في أطرافها الأمامية، والأصبع الأول قصير، لا يصل إلى الأرض. ولها أربعة أصابع في الأطراف الخلفية. والأطراف طويلة في معظم الأنواع، وهي معدة للعدو، لأن بعضها تعتمد على السرعة في صيد فرائسها، ويعتمد بعضها على القدرة على متابعة الجري لمسافة طويلة. تصيد بعض الأنواع فرادى، وتعتمد أنواع أخرى على الصيد في جماعات وبذلك تكون قادرة على قتل فرائس كبيرة. وتتغذى أفراد العائلة بأنواع مختلفة من الطرائد، منها الفقريات والمفصليات وأنواع مختلفة من النباتات.

ويمتاز عدد من أنواع هذه العائلة بأنها تُحسن انتهاز الفرص، وقد يكون هذا أحد أسباب بقائها.

ومن العائلة الكلبية في شبه الجزيرة العربية الذئب العربي وابن آوى والثعلب الأحمر وثعلب الرمال والثعلب الملكي.

الذئب العربي. وتسمّيه العرب بأسماء عديدة تدل على ارتباطه بهم وقربه منهم وإعجابهم به في قوته وقدرته ومداومة بحثه عن قوته. فمن أسمائه لحيف وأوس ويصغّر على أويس. قال الشاعر الهذلي:

يالـيت شـعري عنـك والأمر عـمم
مـا فـعـل اليـوم أويـسٌ بـالـغـنم

ومنها: السرحان والسِّيد والعسّال والأزل. ومنها أيضاً الخاطف والسمسام وذؤالة والعملّس والسلق. وكنيته أبو مَذقة لأن لونه كذلك، قال الشاعر:

حـتـى إذا جنَّ الـظـلام واخـتـلـط
جاءوا بمـذق هل رأيـت الذئـب قط

كما يكنى أبا جعدة، ومن كناه أيضاً أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة، ويقال للأنثى ذئبة وسلقة، وولد الذئب يدعى دغفل أو جرو، وتدّعي العرب أن الذئب يُنْجِب من الضبع ويُسمى الولد السمع، ويُسمى ولد الضبع من الذئبة عِسبار.

والذئاب واسعة الانتشار في العالم، وتختلف أحجامها وألوانها وأشكالها باختلاف مناطق انتشارها، فذئاب كندا

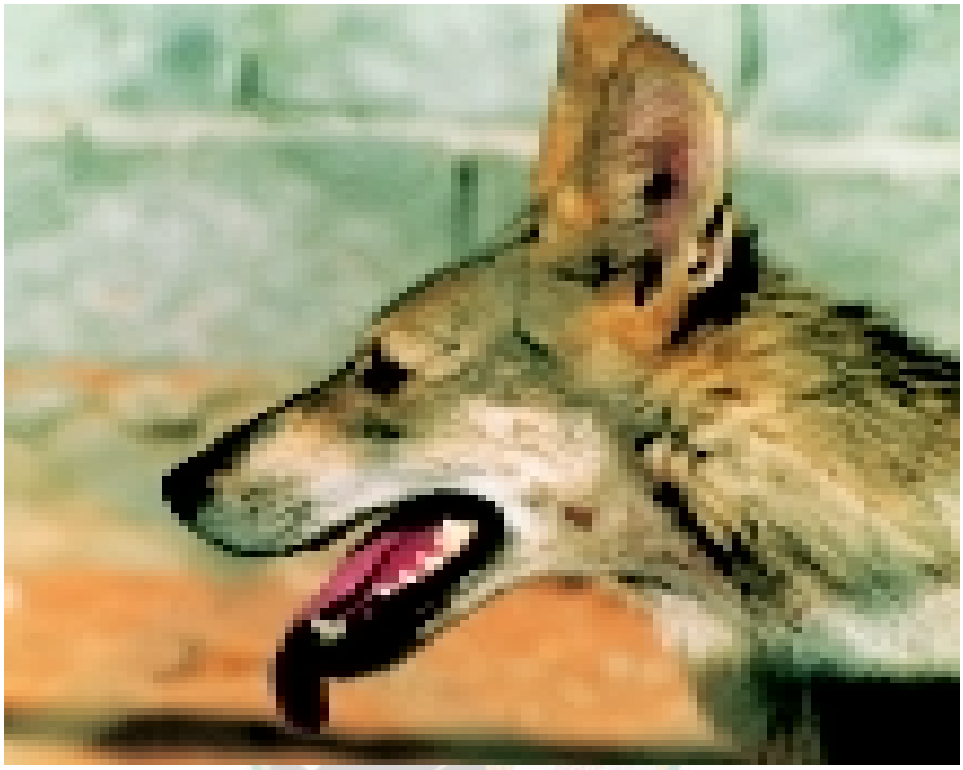

الذئب

وسيبريا أكبرها حجماً حيث تزن نحو ٨٠كجم، ويصل ارتفاع كتفها إلى ٨٠سم، وأصغرها تلك التي تعيش في الجزيرة العربية حيث يتراوح وزنها بين ١٦و ١٨كجم، ويصل ارتفاع كتفها إلى ٧٠سم، والإناث أصغر من الذكور حجماً . ولون الذئب في الغالب رملي فاتح وشعر ظهره أسود، أما البطن والأطراف فلونها يميل إلى البياض. وهناك اختلافات في اللون بين السلالات في المنطقة الواحدة، والسلالات في المناطق المختلفة، وتمتاز الجمجمة بطول الخطم وارتفاع الجبهة.

وينتشر الذئب العربي في مناطق الجزيرة العربية عدا الربع الخالي وأجزاء من صحراء النفود. والسلالة الموجودة في المناطق الجنوبية أصغر جسماً من السلالة التي تقطن المناطق الشمالية من المملكة. لأن السلالة التي تعيش في الشمال هي من أصول تعيش في تركيا والعراق وإيران وشمال الهند. والذئاب في الجزيرة العربية قليلة العدد، وهي

ليلية المعيشة، لا تخرج خلال النهار إلا نادراً، وتنشط خلال الليل في البحث عن غذائها. وتعيش في الكهوف والجحور أو تحت الصخور.

ارتبط الذئب بالإنسان منذ القدم، فهو يعيش في محيطه، ويعتمد عليه في الحصول على الغذاء عندما يشح في البراري، فيسطو على ماشيته، وقد يفترس الإنسان إن لم يجد غيره، أو وجده في قفر ليس لديه ما يحتمي به. يقول الله تعالى في قصة يوسف ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾. (يوسف: ١٣).

تعتمد الذئاب على حاسة الشم للحصول على فرائسها، فهي تشم من مسافة كيلومترين أو أكثر. والذئب في الجزيرة العربية إما أن يكون وحيداً، يعتمد على نفسه في الحصول على الغذاء، أو على شكل أزواج، ونادراً ما يكون في جماعات. وعندما يكون وحيداً يجول لمسافات طويلة قد تصل إلى عشرين ضعفاً مقارنة بتلك التي يغطيها الذئب الذي يعيش في جماعة، وهو في تجوله لا يترك أثراً يدل عليه ولا يسمع له عواء، كما يفعل الذئب الذي يعيش في جماعة.

ويضرب المثل بالذئاب في اليقظة والحذر من المباغتة، فيقال «أيقظ من ذئب»، ومما تزعمه العرب عن الذئب أنه ينام بإحدى عينيه ويترك الأخرى مفتوحة حتى لا يؤخذ على غرة. قال حميد بن ثور في وصفه في أبيات مشهورة:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظة
أكلت طعاماً دونه وهو جائع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي
بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وجاء في الأمثال «أغدر من ذئب» «وأخون من ذئب» «وأظلم وأكسب وأعق من ذئب». ويحكى أن أعرابية وجدت ذئباً صغيراً في الصحراء فأخذته وربته مع شياهها، فلما كبر أكل شاتها التي كانت تنتفع بها، فقالت في ذلك:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي
وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا
فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء
فلا أدب يُفيد ولا أديب

وقالوا في المثل الشعبي «الذيب ما يسرّح بالغنم».

تتغذى الذئاب بمعظم الحيوانات الفطرية الفقرية التي تستطيع صيدها،

وكذلك الماشية عندما تسنح الفرصة لها لذلك، ويعرف عنها قتل الثعالب. وخلال الشتاء قد تشكل جماعات للصيد فتهاجم حيوانات كبيرة مثل الحمير والخيل، ولا يعود الذئب إلى فريسة شبع منها إلا إذا اضطر إلى ذلك ولم يجد غيرها وجاع، ويعاود الذئب مكان فريسته -عادة- بعد ليلتين من افتراسها، لذلك عندما يهاجم قطيعاً من الأغنام، ويفترس شاة، فإن أصحاب القطيع يتركون شاة دون حراسة في الليلة التي يتوقعون عودته فيها، لتكون بمنزلة طعم له، حيث يتمكنون من قتله عند محاولته افتراسها.

وفي الوقت الحاضر حيث تندر الفرائس تحصل معظم الذئاب في الجزيرة العربية على غذائها من الترمم على الفضلات حول المدن ومن جثث الماشية والحيوانات المقتولة على الطرق، وقد تتغذى باللافقاريات والخضار والفواكه عندما لا يتوافر غيرها.

ويزعم بعض أهل البادية أن الذئب يأكل أشياء عديدة، فبالإضافة إلى الفرائس المعتادة، يأكل النباتات الغضة والأوراق والسيقان الصغيرة والحشرات، ويغالي بعضهم حتى ليظن أنه يأكل الهواء إن لم يجد شيئاً يقتات به، ويتوهم بعضهم إنه يأكل الجن. ويروي أحد كبار السن أنهم أثناء رحلات القنص كانوا يرونه خلسة وهو غافل «يمشي ثم يلتقط شيئاً من الأرض ويلتهمه، وكنا نتساءل ماذا يأخذ من الأرض فنحن لا نرى طيراً ولا حيواناً أمامه، وعندما سألنا من هم أكبر منا قالوا: إنه يأكل الجن يتصيدهم من أماكن معينة. ويقولون: إنه أكثر ما ينقر ويأخذ من الجن من تحت شجيرات معروفة أنها مكان تجمع الجن ومقيالهم مثل شجيرات الشث والعتم، ويؤكدون زعمهم هذا بمشاهدات أخرى مثل قولهم: إن بطن الذئب لا يشبعها القليل،

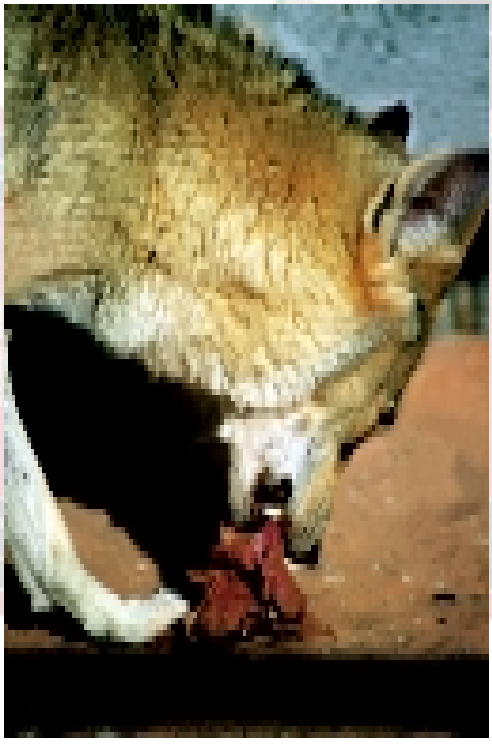

الذئب

وقد ورد في الأمثال «أجوع من ذئب». والذئب صبور على الجوع مثل الأسد فقد يمكث في الجبال الأيام الطوال لا يجد شيئاً من الطرائد التي تسد رمقه، لا غنم ولا مرعى. ولو لم يكن يأخذ من المخلوقات الأخرى، لما تمكن من العيش في هذه البيئات الفقيرة. ومن الأساطير الشائعة عند أهل نجد أن الأرض تنغلق عن الجن إذا رآهم الذئب على سطحها، وخصوصاً إذا كان جائعاً لكي يتمكن من أكلهم. ويرتبط سبب أكل الذئب للجن عند أهل البادية بالنظر، فهم يعتقدون أن عين الذئب قادرة على رؤية الجني ومن ثم فهو فريسة ظاهرة ميسورة له.

ويقول أهل البادية: إن للذئب وقتاً يأكل فيه من الحلال، ووقتاً يأكل فيه من النباتات والمرعى الغض، ووقتاً يأكل فيه من الهواء، ووقتاً يأكل التراب، ووقتاً يأكل من الجن، وهذه أمور مشاهدة في فضلاته. وهذه كلها مزاعم باطلة وخزعبلات لا أساس لها من الصحة وأوهام صورها الخيال الجامح.

وللذئاب طرق مدهشة عجيبة في إرباك الماشية والرعاة والتمويه عليهم لإعطاء الفرصة للرفقاء لاقتناص الفريسة من بين القطيع، وقد يدفع أحد الذئاب الفريسة إلى حيث يختبئ صاحبه لأخذها.

ويقول أهل البادية إن الذئب قديماً كان يفترس الإنسان، خاصة في الطرق الخالية، حين كان اعتماد الناس في السفر والتنقل على الدواب، أو المشي على الأقدام، فيكمن الذئب في مواقع معينة من الطرق حيث يمر المسافرون فيهاجمهم. والاعتقاد السائد لديهم أن الذئب لا يفترس النائم وإنما يحثو عليه التراب حتى يوقظه، كما أنه لا يقترب من النار، ولذلك فإن من يهاجمه الذئب يعمد إلى إشعال النار، ويحاول أن تحيط به طوال الليل، لأن الذئب في الغالب يعود إلى مخبئه في النهار، أما اليوم فنادراً ما يحدث ذلك لاعتماد الناس على استخدام السيارات في التنقل والسير في طرق معينة ممهدة لا يصلها الذئب عادة في تجواله.

وكانت الذئاب أيضاً تفترس الناس في الديار الخالية التي أحال منها السكان إلى مناطق أخرى فيسطو على من يجده بها وينفرد به ويقتله، ويقال: إن الذئب لا يحيل مع الناس إذا أحالوا بل يبقى في الديرة، يأكل من الحيوانات البرية الموجودة فيها، والنباتات المتوافرة بها.

وأكثر ما كانت الذئاب مشهورة بأكل الإنسان قديماً في الطرق التي كان الناس

يسلكونها كثيراً في انتقالهم بين القرى والهجر والمدن خاصة طرق الحج والتجارة. ويتذكر الناس قصة الحاج الصومالي الذي وصل إلى قرية الفريش، وهي قرية في طريق الحج تبعد عن المدينة حوالي ٤٥كم باتجاه مكة على الطريق القديم، وكان وصوله قبيل الغروب مشياً على قدميه، وقال لأهل القرية «أنا أريد الذهاب إلى المدينة». فقال له أهل القرية: «يا غريب لا تذهب إلى المدينة حتى تصبح، فهناك ذئب يأكل الناس في طريقك، فقال لهم «إذا فيه ذيب، أنا ذيب، وأنا معي (شلفا) وهي رمح له سنان ذو حدين. مشى الغريب من القرية وعندما وصل مفترق الطريق، الذي يؤدي إلى الجفر، قابله الذئب وافترسه، ولم ينفعه الرمح الذي كان معه، وعندما أصبح الصباح، قال أحد رجال القرية: الحقوا الغريب وسوف تجدونه حول المفرق، وعندما وصلوا إلى المكان وجدوا الرجل مقطعاً لم يبق منه سوى ثيابه.

ويقول أهل البادية إن العصا والمشهاب، وهي العصا بطرفها نار، والبندقية لا تفيد في طرد الذئب أو النجاة منه، ولكنه يخاف بريق السيف، ويحكى أن رجلاً ذهب إلى ديرته ليؤبر نخلاً له، وكان الناس قد أحالوا من تلك المنطقة منذ فترة، وعندما وصل إلى فم أحد الوديان، في طريق عودته إلى أهله، قابله الذئب، وكان الوقت بعد العشاء الآخرة، وكان مع الرجل بندقية يقال لها (محدَّش) وهي ذات إحدى عشرة طلقة، وعندما عزم عليه الذئب بدأ يطلق عليه النار، وكان الذئب يموج عن الطلقات يميناً وشمالاً حتى أنهى تسع طلقات. وكان مع الرجل سيف يتوشحه على صدره، ولكنه نسيه، هوى الرجل إلى الأرض ليأخذ حجراً يرمي به الذئب، وقبل أن يصل إلى الأرض، وكزه السيف بصدره فتذكره، فاستله من جرابه، وعندما برق السيف هرب الذئب ولم يره الرجل مرة أخرى حتى عاد إلى أهله، ولعل هذه القصة من قبيل تلك القصص التي لا سند لها.

ويقول أهل البادية: إن الذئب يفترس الإنسان إذا خاف منه، ويفترس إذا جاع ولم يجد ما يأكله، ويفترس إذا خلا بالرجل، ولكنه مع هذا يُنْهر ويُبْعد بالكلام القوي ويهرب، وكذلك يهرب بالحجر، ولكنه إذا عزم فلا ينفع فيه ولا ينجي منه إلا السيف، أو الطلقة تصيبه وتقتله. ومن أشهر الألفاظ التي ينهر بها «الخلا، الخلا»، أي ابعد واذهب إلى الخلاء.

وبالرغم من عداوة الذئب لأهل البادية وأكله لحلالهم وسطوته عليهم

وغدره بماشيتهم، فإنهم يعترفون بأنه يقدِّر من يسدي إليه المعروف. ومن طرائف ما يروى عن علاقة الإنسان بالذئب أنه قيل: إن رجلاً يقال له عامر بقي في الديار بعد أن أحال الناس، ولم يذهب معهم لانشغاله في بعض الأعمال. وفي إحدى الليالي هظل عليه الذيب أي جاءه ليلاً، وما كان من الرجل إلا أن قسم طعامه بينه وبين الذيب فأكلا وناما، وعندما أصبح الصبح ذهب كل لشأنه. بقي الرجل مدة من الزمن، وكل ليلة يعود الذيب فيقتسم معه العشاء، وفي ليلة قدم الذيب، ويده مكسورة، وبعد أن قدم الرجل له عشاءه أحضر سنايف خشب ووضعها حول يده وربطها بلحاء الشجر، حتى طابت يده وبرئت. انتهى الرجل من شأنه الذي حبسه وعاد إلى أهله. فتبعه الذيب إلى منازل أهله، وعندما وصلوا تأخر الذيب عن البيوت وبقي بعيداً، فقال الرجل لعشيرته: «ياجيران، أنا معي خويّ، أي رفيق، انتبهوا له لا أحدَ يذبحه»، قالوا: من خَويك؟ فقال لهم: خويي ذيب، وحكى لهم قصته مع الذيب. قالوا: الذياب كثيرة، ما هي صفته وعلامته؟ قال صفته أنه أعرج، وإحدى يديه أقصر من الأخرى. وفي إحدى الليالي قام أحد شباب الحي، ورأى الذيب خوي جارهم، وأطلق النار عليه وقتله. وعندما حضر الشاب «الجليس»، وهو مجلس السمر أثناء الليل، قال لجيرانه أبشركم أني ذبحت خوي عامر، وكرر القصة بأنه ذبح خوي عامر في كل جليس، وفي إحدى الليالي كلمه عامر، وقال له: الذيب كلب ويستاهل من يقتله، والأجدر بك أن تقول أنا ذبحت الذيب، ولا تقول إنك ذبحت خَويّ عامر، لأن بعض الناس لا يعرفون من خوي عامر، ولكن الشاب لم يمتثل وردد قولته أنه ذبح خَويّ عامر، فقال عامر:

تقيت وعَيَّا التقي يفيدني
وعَيَّا الذيب إلاَّ خوي عامر

وأطلق عليه النار وقتله.

ومعشي الذئب هو مكازي بن فرحان بن سعيد الشمري وقد اشتهر بذلك فقد ذكر السويداء: أن الشيخ فرحان ذات ليلة من عام ١٣٣٠هـ عندما مضى السمار من عنده بعد انقضاء شطر من الليل سمع ذئباً يعوي حول بيوت الفريق (الحيّ)، فتساءل على أسماع الحاضرين وهو يعلم بإجابة سؤاله حق العلم، لماذا يعوي الذئب؟ فقال له من حضر، إن عواء الذئب من شدة الجوع، فقام موجهاً الكلام لأحد أبنائه: من المستحيل أن يبيت

جائعاً ضيف على حينا، اذهب يا فلان وخذ خروفاً من الغنم باتجاه الذئب واربطه له بشجرة أو حجر، ليأتي إليه ويفترسه. وربط الخروف في شجرة وتعشاه الذئب. واشتهر مكازي وعشيرته السعيد من شمر بأنهم «معشية الذيب» وقد أثارت هذه الحادثة الكثير من الشعراء، ومن ذلك قول الشاعر:

الذيب جان وعلّمن بالسريره
يقول وين اللي ذبح لي بشاة
قلنا عمامك فيضوا للجزيره
دلّى يهوم النزل يبي المبات

ومما يلاحظ أن صلة الذئب بالإنسان في الجزيرة العربية تتخذ مسارين، أولهما، عداء ورفض يبدو في صلة الذئب بالفلاح فهو يختطف ماشيته ويخرب زرعه، لذا فالفلاح يخشاه ويطارده ويقتله. ويقال في المثل: لك أو لأخيك أو للذيب. ويعني أن الأمر ضائع فاغتنم الفرصة المتاحة.

أما صلته الثانية بالبدوي فهي وإن كانت تُحدث آثاراً مضرة فإن البدوي يحترم الذئب حين يرى وجهاً من الشبه بين حياة كل منهما، فهما يتماثلان في التوحد واجتياز الصحراء وكسب لقمة العيش بالإغارة والسلب والنهب وسرعة العدو وكل أولئك مما يقره البدوي قانوناً في حياته ومن سبل بقائه، فهو يغير اليوم ويغار عليه غداً، لذلك لا ينكر البدوي على الذئب مسلكه. ومن أشهر من صور هذا الشبه الشنفرى في (لامية العرب) ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

وتظل العلاقة بين الذئب وإنسان البادية علاقة عجيبة غريبة تحمل في طياتها المتناقضات فهي مزيج من الخوف والإعجاب والصداقة والمناجاة.

لقد رأى رجل البادية فيما مضى وهو يقاسي من أهوالها ويعاني من شظف العيش فيها نفسه ذئباً فتقمص شخصيته وحاكاه في تصرفه واستفاد من أساليبه وطرقه، فهو عندما يهاجم عدوه يعتمد على السرعة في الهجوم والظفر بالغنيمة والإسراع بالعودة إلى الديار، وهو عندما يريد أن يسلب وينهب فإنه يحاكي الذئب. فالمعروف أن الذئاب تهاجم أحياناً في مجموعات يوكل لكل فرد منها مهمة محددة كمشاغلة الكلاب والسبر والاستطراد، وهذا هو حال الحناشل.

وهو عندما يريد مقابلة محبوبته فإنه يقابلها في غفله من الجميع وبسرعة ما أمكن: يقول محمد بن عمار في ألفيته:

الـفـا فْـوادكْ لا تـــولّـيـه حـسّـادْ
واحفـظْ لسـانكْ لا يقـولونْ ذا قـالْ
واضحكْ وكفّكْ عن جميع العربْ صاد
ثم انـتبـهْ للذيـب يضْـوي بغَفْـلاتْ
يـضوي بـغفـلاتٍ وهم مـا دَرُوا بهْ
والـلـي يـودهْ بالمحـاري هَـقُّـوا بـه
كـم واحدٍ وقّـفْ ولا قـضـى نوبـه
يضـوي الى شافِ اللـحمْ كنه حْـدَاةْ

وكما أن الـذئب يختار الـقطيع أو الشخص المراد مهاجمته قبل الإقدام على الهجوم كذلك يفعل الحنشل فإن أنسوا قوة أو يقظة من الهدف عادوا أدراجهم. وكما يصادق الـذئب ويفي مع صديقه كما تواترت بذلك الروايات فإن دخولك بيت البدوي وأكل الزاد معه يعني الأمان لك مهما كانت العداوة أو الثأر بينكما.

والبدوي يدرب ابنه منذ الصغر على الفروسية والطعان وكذا الذئب، والذئب صبور علـى الجوع والشظف ويشـاطره البدوي في ذلك.

وقد كان الذئب مصدر إلهام لرجل الصحراء، وكـما تذكر الحمامة عـشاق القرى وتهيض مشاعرهم فإن الذئب هو مناجٍ محب عند أهل البادية وهو الباعث على أشجانهم. ولذلك نجد أن كثيراً من مطالع قصائد الحب البدوية تبدأ بالإسناد على الذئب فمنها:

يـاذيـبْ يـالـلي هـاظـنـي بـعْـواهْ
قـبلـك وأنا عـن صـاحبـي سـالي
مـا ادري حـدر والا نَـحَـر مَـرْبـاه
والا مـــع ابـن حـــمـــيـــدْ نَـزّال

ومثلها:

ياذيـب ابا الفـوس والخفقـان والنير
عان الـعشـا في جـراديخ الـصمود

أما الذئـب فقد اقتصـر ذكره على وصف سـرعة الركائـب والمعاناة الـتي يقاسيها الشعراء؛ قال سلطان بن عبدالله الجلعود:

يـاراكبٍ مـن فـوق حمـرا تـوحي
حمـرا تزومع فـي رديفه تـقل ذيب

تمـوج: تومـي، تزومـع: ترقـل، الرديف: من يكون خلف الراكب. وقال خلف بن زويد الشمري:

يـاراكبٍ حـمرا تـقل رومـلـة ذيب
حـمرا ولا حـمر الحـويـر غذي بـه

الرومـلـة: نوع من المشي السـريع. وقال خضير بن عيادة الصعيليك:

يـاراكب حـر تـقل سـلـوعة ذيـب
عـلـيـه من رعـي الخـطر كـالـزباره

السلوعة نوع من جري الذئب، رعي الخطر: أي رعـي الخطرة وهي نـبات، كالـزبارة: يعنـي سنامه شـمخ واكتنـز بـالشـحم. وقـال ظاهـر بـن مرزوق الشمري:

كـنـه الذيـب مـع روس المـراقيـب
أو كمـا الادمي الـلي سـامع كـيلـه

الكيلة: تعبئة البندقية بالذخيرة. وقال فيحان بن قاعد بن زريبان المطيري:

ياذيـب يوم انك عـلى راس جلـوى
تجـر صـوتٍ مـثـل حس الـربـابـه
وراك يـوم انك ضـعـيفٍ تـسـلوى
ضامـر ولا صنـعك بصـنع الـذيابه

راس جلوى: موضع، الربابة: آلة وترية يـعزف عليها، وراك: مـا بك، تسلوى: تـتخضع، صنعـك: هيئتك وحالـك ومظهـرك. وقال خلـف أبو زويد:

والذيـب لو يطلـع عليـه الطلي نـار
وصارت عـقوبـات السـباعه شـراده

يطلع: يظهـر عليه فجأة، الطلي: الخروف، نار: هرب وشـرد. يقول إن المفاجأة تخيف حتى الذئب فإنه إذا ظهر عليه الخروف فجأة شرد منه مع أنه فريسته المفضلة. وقـال محمد بن راشد الحمد السويداء:

يـاذيب يـاللـي بالمـراقـيب عـويت
هنـيت عـينـك ما علـيك مـعتوب
ادعن معك يـاذيب لى منّك اعويت
زودٍ عـلى حـسك تـعاوي الجـنوب
انتـه ليـا جضّيـت للصـدر فضّـيت
وانـا عـواي عـن المخـاليـق دوبـي

المراقيب: جمع مرقب وهو المرتفع يشرف منه، معتوب: معاتبة، لامنّك: إذا، جضـيت: عويت بـعمق وتـأثر، فضيـت: نفست عن صـدرك، دوبي: أقصر صوتي.

ووصفوا الرجل بالذئب على سبيل الكناية مثلما قالت شاعرة:

ياذيـب يالـلي جر صـوتٍ عوى بـه
ما ادري ظمـا والا من الجوع ياذيب
يـاذيـب لا تـطردك عـنـا المـهـابـه
طرش الـعرب بـالبر كـله عـوازيب

والشعر في قصة عن رجل اتفق مع أخته أن يأخذ إبل هذا الحي وأن تخبره شعراً إذا عوى مثل عواء الذئب، فلما عوى أجابته بأبيات منها هذان البيتان، طرش العرب: يعني إبلهم. وسمعتها عجوز في الحي فظنته عشيقاً لها، فأجابتها شعراً:

يـابنـت حـذرا لا يـعضـك بـنابـه
ترى مـعض الـذيب مابـه تطـابيـب

فردت عليها المرأة نافية التهمة الـتي اتهمتها بها:

وحـياة طـلاب المطـر مـن سحـابـه
إني سـليـمه ما بـعد عـضني ذيـب

والذئب محل إعجاب أهل الصحراء فيسمون بـه أبناءهم، وبه يضرب المثـل فيقال «فـلان ذيب» دلالة على اكتـمال عناصر الرجولة في شخصه.

ويلفت النظر أن الذئب في الثقافة الغربية يمثل الشر، نرى ذلك في قصص الأطفال، خاصة في القصة المشهورة «ليلى والذئب»، كما نجد في الثقافة الغربية أسطورة الرجل الذئب الذي يتمثل ظهوره عند اكتمال القمر، أما الذئب في صحرائنا العربية فلا يمثل روحاً شريرة، بل نجده مثار فخر واعتزاز للعربي، يدل على ذلك تلك الصداقات التي عقدها الشعراء مع الذئاب، وكيف استضافوها وأجاروها وأقروها من زادهم، مثل ما جرى للفرزدق في قصيدته التي مطلعها:

وأطلس عسال وما كان صاحبا
دعوت بناري مَوهنا فأتاني
فلما أتى قلت ادن دونك إنني
وإياك في زادي لمشتركان
فَبِتُّ أقد الزاد بيني وبينه
على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بمكان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيين كانا أرضعا بلبان

ومع ذلك قالوا في المثل الشعبي «الشتا وجه ذيب» فالشتاء كالذئب الذي يعض على الجوع.

ومن الطريف أن الأسد مع عزته وكبريائه وقوته ورغبته في النفوذ لم يستأثر بصداقة العربي، بل ظل بينهما من العداء ما جعل كلاً منهما يتوجس خيفة من الآخر، وأكثر قصائد الشعر العربي تشير إلى الصراع بين الإنسان والأسد، كقصيدة المتنبي في مدح بدر ابن عمار التي مطلعها:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا

أو قصيدة بشر بن عوانة:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشرا

ويعتقد كثير من أهل البادية أن عين الذئب إذا قُلعت قبل أن تجف، وأخذ منها الماء وخلط بالكحل، فإن من يستخدم هذا الكحل يستطيع أن يرى الجن والشياطين، ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك، فيروى أن من الأطباء الشعبيين من يزرع عين الذئب مكان عين الإنسان الميتة، ويقولون إنه إذا ركبت هذه العين للإنسان ولم تمت، فإنه يصبح قادراً على رؤية كل جني على وجه الأرض. وهذا القول ليس له أساس من الصحة.

والمعروف أن سكان المناطق الجبلية في المنطقتين الغربية والجنوبية الغربية من المملكة يعمدون إلى قلع عيون الذئب

بعد قتله، ثم يـعلقون جثته على جذع شجرة أو عمود على جانب الطريق مع وضع علامة بقربه تشيد بشجاعة القاتل. وهناك اعتقاد بأن هذا سيـخيف الذئاب الأخرى ويمنعهـا من الاقتراب من هذه المنطقـة، وقد يكون قلع عـيون الذئب بهدف استعمالها في الطب الشعبي.

ويشيع استخدام بعض أجزاء الذئب عند كثير من أهل البادية، ويقولون في المثل الـعامي «شبعة مـن ذيب عن ميّة طبيب»، أي تكفي عن مئة طبيب، وهم يعتـقدون أن أكل بعـض أجزاء الذئب للاستشفاء من الأدواء مع النية السليمة تغني عن الطبيب، وتشفي من كثير من الأسقام. والشائع عندهم أن الكبد تشفي من أدواء الريح أو الغازات، وأن الشحم يستخدم دهاناً للروماتيزم. ولحم الذئب يأخذه بعـض الناس لأمراض العظـام، ولآلام الظهر الشديدة. ويشرب بعضهم دم الذئب لإزالة الخوف. وغنيٌّ عن القول أن كثيراً منهم يعرفون حرمة أكل السباع، ولكنـهم يردونه إلى باب الـضرورات، ويقولون: إن من يأكل قلب الذئب يصبح شجاعاً جريئاً، لا يعرف الخوف طريقه إلى قلبه، وإن كـان في الأصل جباناً، ومنهم من يعلـق بعض لحمه في منزله لطرد الجن. وكل ذلك غير صحيح.

ومن مزاعـم أبناء البادية عن أنثى الذئب أنهـا إذا ما قتلت جراؤها فـإنها تلـحق بقاتـلها ولا تعـود إلا قاتلـةً أو مقتولة، ولذا فإن من يقتل الجراء يسرع بمغادرة المكان، وعليه أن يكون مستعداً للقاء أحد الأبوين أو كليهما، وإلا فإن النهاية تنتظره وبأسرع وقت.

تتزاوج الذئاب خلال الشتاء، وتستمر فترة الحمل نحو شـهرين، تضع الأنثى بعدها مـن ٥ إلى ٨ جراء، وتمتد فتـرة الرضاعة مدة تقارب فترة الحمل، وتبلغ الذئاب حجم الحيوان البالغ عندما تصل من العمر سنة واحدة. ومن طبائع الذئاب أن يهتم الأبوان بالصغار، وخلال الأشهر الثلاثة الأولـى من عمرها، وهي فـترة

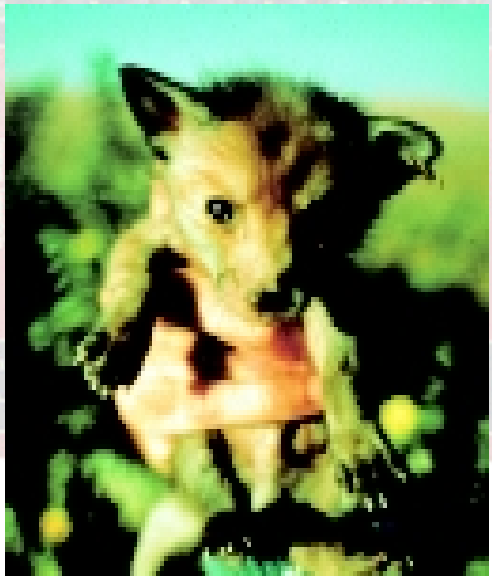

جرو الذئب

التعلم والتدريب تعرف الصغار مراكزها في الجماعة، ويصل الذئب مرحلة النضج الجنسي عند عمر سنتين، وقد يُعمر إلى ١٥ سنة.

ونختم الكلام عن الذئاب بهذه القصة التي تبين نمطاً من الحياة الأسرية لدى الذئاب ورعايتها للكبير العاجز. فقد روى أحد كبار السن الثقات من أهل المجمعة أنه كان قبل خمسين عاماً في بلدته وعندما عاد الشاوي (راعي الغنم) لم تعد معه رخلة (الصغيرة من الشياه) وعندما سأل الشاوي عنها قال إن آخر علمه بها في المكان الفلاني، فما كان من الرجل إلا أن عبأ بارودته بالرصاص، وذهب إلى المكان الذي رادته الغنم في النهار، وكانت ليلة منتصف الشهر والقمر ينير المكان، وعندما بحث عن رخلته وجدها مفترسة، فقام بقطع مجموعة من الشجيرات ليختفي وراءها، واختار مكاناً في الاتجاه المعاكس للهواء لأن الذئب حساس ويشم رائحة الإنسان والبارود، وجلس في مخبئه وهو يرى الفريسة. وبينما هو جالس لاحظ أن ذئبين قد أقبلا صوب الفريسة وكان أحدهما يمسك بفمه أذن الآخر، ولما وصلا إلى الفريسة قام الذي كان يمسك بأذن صاحبه بقطع قطعة لحم من الفريسة وأعطاها لصاحبه قال الرجل: وفي هذه الأثناء صوبت بندقيتي نحوهما وأطلقت النار فقتلت الذي كان يطعم صاحبه، وبينما أنا أجهز البندقية بالرصاصة الأخرى استعداداً لقتل الآخر لاحظت أنه لم يهرب ولم يتحرك، وقام بشم صاحبه وتحسس جسمه ثم قنب (عوى) مرتين وسقط إلى جانبه، ثم انتظرت فترة من الوقت ولم تبد منهما أي حركة فاتجهت نحوهما ببطء وبندقيتي معمرة، وعندما لمستهما اتضح لي أنهما ميتان، فتعجبت الذي موت أحدهما وهو لم تمسه الرصاصة فتفحصته وإذا هو ذئبة عمياء قد سقطت أسنانها، ويبدو أن من كان يقودها هو ولدها. وهذا يعطي دلالة على وفاء الذئب لوالديه أو حتى لرفيقه من الذئاب العاجزة وموت هذه الذئبة حزناً على ابنها أو صاحبها لفقدها عائلها.

ابن آوى. حيوان من السباع، يشبه الذئب في مظهره الخارجي لكنه يختلف عنه في الحجم، وبعض المظاهر الأخرى. فابن آوى أصغر من الذئب جسماً، ويختلف عنه في شكل الجمجمة والأسنان. يصل وزنه إلى ١١ كجم تقريباً، وارتفاع كتفه إلى ٥٠سم. يميل لون جسمه إلى اللون الرملي، وينتهي الذيل بلون أسود، أكثر كثافة من نهاية

ذيل الـذئب. وشعر ابـن آوى خشن، يكون عـادةً مرقشاً بلـون بني أو أسود على الظهر، وشعر البطن أبيض.

اشتهر هذا الحيوان بصوته المميز الذي يصدره ليلاً للقاء أفراد القطيع، ومنه اشتق اسمه «ابن آوى»، لأنه يأوي إلـى عواء أبنـاء جنسه لـيلاً إذا استـوحش وبقي وحده، وصياحه يشبه صياح الصبيان. وابن آوى هو الاسم المشهور الذي عرف به. ويطلق الاسـم على الذكر والأنثى ويجمع علـى بنات آوى. ومن أسمائه الأخـرى «لَعْـوَص وشعـبـر وعلّـوش والذؤلبان». وكنيته أبو أيوب وأبو ذؤيب وأبو كعب وأبو وائل.

ينتشر ابن آوى في مناطق واسعة من العالم، تمتد من تايلاند شرقاً إلى شمال أفريقيا حتى المغرب غرباً، وفي أوروبا. وقد عرف عنه مقدرته على العيش متكيفاً في المناطق الصـحراوية التي تشح فيها المياه، ويقل فيها الغذاء. وينحصر انتشاره في الجزيرة العربية في المنطقتين الشرقية والشمالية الغربية وبعض الوسطى. وهو

ابن آوى، شعره خشن مرقش بلون بني أو أسود على الظهر وشعر بطنه أبيض

قليل العدد في هذه المناطق ولا يرى إلا نادراً، وقد يكون السبب في ذلك تعرضه إلى المنافسة الشديدة في الغذاء وأماكن المعيشة، وافتراس الذئاب خاصة، والثعالب والكلاب والضباع عامة، ومحاربة الإنسان له وترصده إياه وقتله متى ظفر به، لما عرف عنه من إفساد المزارع، ومهاجمة الدجاج والحيوانات الأخرى المستأنسة.

يعيش ابن آوى في جماعات مكونة من عدة أفراد تتألف من الأبوين وعدد من الصغار، ويعيش الزوجان في الموقع نفسه فصلاً بعد فصل، ويتفرق القطيع بعد أن تكبر الجراء.

وابن آوى حيوان ليلي، يخرج للبحث عن الغذاء عند الغسق، وتخرج الأفراد في جماعة أو قطيع كما تفعل بعض الذئاب، وترى مجموعات منها حول المدن في أماكن تجميع الفضلات. وقد شوهدت تجمعات من ابن آوى حول مدينة القطيف في شرق المملكة. وهو حيوان انتهازي في غذائه، يفترس ما يقابله من حيوانات صغيرة وحشرات، مثل الجعلان والزواحف والطيور والثدييات الصغيرة، ويستطيع قتل فرائس أكبر من ذلك مثل الغزلان الصغيرة وصغار الماشية، غير أن معظم غذائه مما يجده من الجيف والفضلات التي ترمى حول المدن لسهولة حصوله عليها، ومن عاداته أنه يسير خلف القوافل السائرة لأخذ ما يقع منها، ويلحق بالجيوش لأكل جثث القتلى. وتختفي هذه الحيوانات خلال النهار في أوجار في الكهوف، أو في شقوق الجبال كما تفعل الذئاب. يتواصل أفراد القطيع باستخدام الأصوات والإشارات وتعابير الوجه، ويشبه صوت ابن آوى نباح الكلب، وله عواء مميز وهو صوت يساعد الجماعة على تحديد مواقعها خلال فترة نشاطها.

وربما يكون السبب في قلة ذكر ابن آوى هو شدة التشابه بينه وبين الذئاب في المظهر الخارجي، وكذلك التشابه الشديد بينه وبين الثعالب في السلوك والاحتيال، وحبه لمهاجمة دجاج سكان القرى والهجر وحيواناتهم الداجنة الأخرى، ولذلك لم يرد عنه في الشعر والقصص أو الأمثال إلا شيء يسير.

ومن أطرف ما ذكر عن ابن آوى في التراث العربي ما أورده الجاحظ في كتاب الحيوان، أن بعض الحيوانات مجبول على الجبن والخوف من بعض السباع، مثل خوف الماشية من الذئاب، وخوف

ابن آوى

الـدجاج مـن ابن آوى. إذ قـد يكـون الدجاج على رف مرتفع أو على أغصان شجرة فلو مر تحته كلب أو ثعلب أو قط فإن الدجاج يـظل ساكنا، فإن مر تحتـه ابن آوى هوى وتساقط من شدة الخوف.

ومن طريف ما جاء عن ابن آوى في الشعر العربي قول أبي نواس في هجاء إسماعيل بن نوبخت:

علـى خبز إسـماعيـل واقية البـخل
فقـد حلّ في دار الأمـان من الأكـل
ومـا خـبـزه إلا كـآوى يُـرى ابـنـه
ولـم يُر آوى فـوق حزن ولا سـهل

يربي ابن آوى صغاره في أوجار في الكهوف، وتنقل الأنثى صغارها بين فترة وأخرى إلى أماكن جديدة، وتتزاوج في فصل الشتاء وتضع الصغار في الربيع، وتضع الأنثى عدداً من الجراء قـد يصل إلى سبعة جراء في المرة الواحدة، ولكن القليل منها يعيش. ويستمر الحمل مدة شهرين، وترضع الأنثى صغارها شهرين آخرين. وتبـلغ الجراء نضجها الجنـسي خلال عام واحد، وقد تـعمر إلى اثني عشر عاماً.

الـثعـلب. يـسمـى الذكـر ثعـلب وثعلبان، قال الشاعر:

أربّ يـبـول الـثـعـلـبـان بـرأسـه
لقـد ذل من بـالت علـيه الـثعالـب

ويجمع على ثعالب وأثْعُل، وتسمى الأنثى ثعلبة وثُعالة وثُعال، ويقال لولد الثعلب الهجـرس والكتع. ومن أسماء

الـثعـلب الأخـرى حبـتر، والـدران، والعسلَّق وتتفُل. يقول امرؤ القيس يصف فرسه في معلقته:

لـه أيـطـلا ظبـي وسـاقـا نـعـامة

وإرخـاء سرحـان وتـقريـب تتـفُـل

ويكنى الثعلب أبـا الحصين وله من هذه الكنية شيء كثير يظهـر في سلوكه وتصرفـاته، والناس تسـميه الحصني. ويكنـى أيضاً أبا النجـم وأبا نوفل وأبا الوثاب وأبا الحنبص. وتكنى الثعلبة بأم عويل وكنية الثعلب عند العامة أبو علي والأنثى درباسة؛ قال ابن مزحان:

درباسـةٍ نـطـت عـلـى راس قنـه

تـبـكـي عـيـال لـه بـقـاعـة غـار

تشـبه الثعـالب الكلاب الـصغيـرة النحيـلة، لكنها تـختلف عنهـا بالذيل الطـويل الـكثـيف الـشعـر، والأذنين الكـبيرتين المـدببتـي الطرف، والخطـم المستـدق. والثعالب حيـوانات معروفة لانتشارها في مواطن عديدة من العالم، ولأنها ارتبطت بحياة الإنسان لاعتمادها عليه في الحصول على الغذاء، وكذلك طلب الإنسـان لها بغية الحـصول على جلدها ذي الفرو الثمين.

وفي شبه الجزيرة العربية أربعة أنواع من الثعـالب، هي: الثعلـب الأحمر، وثعلب الرمال، والثعلب الملكي، وثعلب الفنك. ويعدّ الثعلب الأحمر أكثر أنواع الثعالب انتشاراً في الجزيرة العربية، وهو يعـيش في كـل أجزائهـا عدا المنـاطق الداخـلية مـن صحراء الربـع الخالي، وصحراء الدهناء. ويتميز عن بقية أنواع الثعالب الأخرى الموجودة في المنطقة بكبر حجـمه، إذ يصل طـول جسمـه، من الرأس إلى نـهاية الذيـل، من ٦٢ إلى ١٠٣سـم، وطول ذيـله مـن ٢٤ إلى ٤١سم، كما يتميز بـلون أسود أو قاتم على سطـح الأذنين الخارجي. وجسم الثعلب الأحمر أسـطواني بشكل عام، مقارنة بـالذئاب، والذيل أطول، وهـو مغطى بشعر كثيف.

ويعيش الثعلـب الأحمر في أوجار أو جحور يحفرها تحت الأرض، أو في الكهـوف أو الشقوق فـي الجبال حول المناطق السكنية غالباً. وهو حيوان ليلي المعيشة، يقضي فترة النهار في وجاره، ويخرج ليـلاً للبحث عن الـغذاء حول المدن وفـي المزارع حيـث يسطـو على الحيـوانات المسـتأنسة، مثـل الدجاج والأغـنام الـصغيـرة. وفي المـنـاطق الصـحراوية يـتغذى الثـعلب الأحـمر باليرابيع (الجرابيع) والـقوارض الأخرى والزواحـف، وكذلك الحـشرات. ولا يتورع عن أكل الفواكه والنباتات المختلفة

عند توافرها، ولذلك فهو مختلط التغذية الحيوانية والنباتية. ومن عاداته إخفاء الفريسة أو دفنها في مكان آمن، ليعود إليها بعد فترة معتمداً على ذاكرته القوية، وحاسة شمه الحادة، في تحديد مكانها.

وقد ارتبط الثعلب الأحمر ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان وأماكن استقراره، فاستفاد بشكل ذكي من تصرفات الإنسان وأسلوب حياته. فقضاء الإنسان على كثير من المفترسات، مثل الذئاب والضباع، خفف من حدة منافستها وقتلها للثعالب، إلى جانب زيادة حصته من الفرائس التي كانت من نصيب تلك المفترسات.

ويعيش الثعلب الأحمر في جماعة أو عائلة تتكون من ذكر بالغ، قد يوجد معه عدة ذكور أخرى، وأنثى واحدة أو أكثر. ويحدث عراك بين الذكور على الأنثى أو الإناث خلال الدورة النزوية لها، ولا يتحمل الذكر الكبير في الجماعة مشاركة أي ذكر آخر خلال فترة التزاوج.

وتتزاوج الثعالب خلال فصل الشتاء. وتبلغ مدة الحمل حوالي شهرين تضع الأنثى في نهاية فصل الشتاء أو بداية فصل الربيع من ٢ إلى٦ جراء، وعدداً أقل في الأنواع التي تعيش في المناطق الصحراوية (٣-٤ جراء). تولد الصغار عمياً وتفتح أعينها بعد ٩ أيام من الولادة، ويستمر إرضاعها لمدة خمسة أسابيع، تأكل بعدها الطعام الصلب، وتخرج إلى مسافات قريبة حول الجحر، ثم لا تلبث أن تتعلم الصغار الصيد والإمساك بالفريسة التي تجلبها الأم والأب حية. وتعتني الذكور والإناث معاً بالصغار بجلب الطعام لها وحمايتها من الأعداء، وتخرج الصغار عند بلوغها أربعة أشهر. ويعمرّ الثعلب الأحمر حوالي عشر سنوات.

أما ثعلب الرمال فيعيش في أجزاء الجزيرة العربية عدا جبال الحجاز واليمن. وهو أقل عدداً من الثعلب الأحمر وأصغر منه حجماً، إذ يصل طول جسمه من الرأس إلى نهاية الذيل، من ٦٢ إلى ٨٠سم، وطول ذيله من ٢٥ إلى ٣٥سم، ولكن أذنيه أكبر حجماً، وليس على سطحهما الظهري لون قاتم مثل أذني الثعلب الأحمر. ويشبه الثعلب الرملي ثعلب الفنك الأصغر منه حجماً في لون فروه الباهت، ولكن ذيل الثعلب الرملي ينتهي بخصلة بيضاء ليست في ثعلب الفنك.

يعيش ثعلب الرمال في البيئات الرملية غالباً في شمال أفريقيا والجزيرة العربية وإيران وأفغانستان، والباكستان.

وهو متكيف للمعيشة في المناطق الجافة، فلا يحتاج إلى الماء، وإنما يكتفي بما يحصل عليه منه في غذائه. وهو ليلي المعيشة، يخرج للبحث عن الغذاء ليلاً ليتفادى درجات الحرارة العالية خلال النهار، ويتغذى بالقوارض والزواحف والحشرات، وقد يأكل النباتات غذاء إضافياً. ويعيش وحيداً، وربما شوهد في بعض المناطق في أزواج وجماعات صغيرة.

ولم يعرف الثعلب الملكي في الجزيرة العربية إلا قبل فترة قصيرة، حين شوهد عدد قليل منه في سلطنة عُمان، والجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة. والثعلب الملكي معروف في إيران وباكستان وتركيا وجنوب غرب تركستان، وكان معروفاً قبل سنوات في فلسطين والأردن، وأخيراً في شبه جزيرة سيناء.

ويعزى السبب في تسميته بالثعلب الملكي إلى فوه الناعم الثمين، وذيله الكثيف الذي يضاهي جسمه في الحجم. وهو أصغر حجماً وآذانه أكبر من آذان الثعلب الأحمر، وجهتها الظهرية ذات لون بني فاتح، وأطرافها ليست سودا كأطراف الثعلب الأحمر. والذيل كثيف الشعر، نهايته سوداء. والخطم مذبب والوجه نحيف، ويمتد من الزاوية الداخلية لكل عين خط أسود إلى الجهة الأمامية للشفة العليا، وفرو الوجه والرأس أقل وأخشن من فرو بقية الجسم. ويدل المظهر العام لهذا الثعلب وتركيب جسمه ومخالبه الصغيرة على أنه لا يحفر جحوراً في الأرض، بل يعيش في الشقوق الطبيعية في المناطق الجبلية.

وقد عرف عن هذا الثعلب أنه أكثر ما يعيش في المناطق الجبلية، التي قد تصل إلى ارتفاع ٢٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر، ويبتعد عن المناطق المنخفضة الدافئة. وأكثر ما يتغذى به المفصليات كالجراد والعقارب، وكذلك الثدييات الصغيرة. والثعلب الملكي ليلي المعيشة، يبقى مختبئاً في جحره خلال النهار. ويعتقد أنه يشبه بقية الثعالب في موعد موسم تزاوجه وطول فترة الحمل، التي تضع الأنثى بعدها من ٢ إلى ٦ جراء، تولد عمياً قليلة الحيلة.

وفي شبه الجزيرة العربية تختلف الثعالب التي تعيش في المناطق الصحراوية الرملية والحصوية في الشمال والوسط عن تلك التي تعيش في المناطق الجبلية الغربية والجنوبية. فالثعالب التي تعيش في المناطق الأولى أصغر حجماً، وأنحل جسماً من ثعالب الجبال، وآذانها أكبر

وأرجلها أنحف من مثيلاتها التي تعيش في المناطق الجبلية. كذلك تبدو حمرة الثعلب الذي يعيش في وسط الجزيرة العربية أفتح من حمرة الثعلب الذي يعيش في المناطق الغربية الجبلية.

ولا يفرق كثير من الناس بين أنواع الثعالب في الجزيرة العربية. فهي عندهم نوع واحد فقط هو الثعلب الأحمر، أكبر أنواع الثعالب في الجزيرة العربية وأكثرها انتشاراً. ولا غرابة في ذلك لأن هذا النوع هو أكثرها عدداً حول القرى والهجر التي يعيش فيها الناس. أما الأنواع الأخرى فتعيش في المناطق الصحراوية البعيدة عن التجمعات السكانية، كثعلب الرمال، أو أنها تعيش في المناطق الجبلية كالثعلب الملكي. وتعتمد في غذائها على الحيوانات والنباتات الطبيعية التي توجد في بيئاتها.

كذلك يخلط كثير من الناس بين الثعلب الأحمر وابن آوى، لأنه يعيش مثله حول القرى، كما أنه يشبهه في اعتماده في الحصول على غذائه على حيوانات أهل القرى ومزارعهم.

وتغص كتب الأدب العربي بالأمثال والشعر والنثر والقصص عن الثعالب. ولا عجب في ذلك، فهو حيوان قريب لصيق بالإنسان، يعيش في بيئته ويشاطره الغذاء بالحيوانات التي يعتمد عليها، ولا

ثعلب الرمال

يتورع عن سلبه ما يناسبه من مزروعاته. وقصص الثعلب في الحصول على الغذاء ومراوغة الأعداء والمنافسين وحسن التصرف في المواقف الحرجة كثيرة جداً في كتب الأدب والحكايات، وقد وصل بعضها إلى درجة يصعب تصديقها، فغالب قصص الثعلب تدل على ذكائه وحسن تصرفه ومنطقه الصائب في معالجة الأمور، كما تدل على حسن التدبير والدهاء والمكر بالأعداء. ومما يستطرف من ذلك الحكاية الشعبية التي تروي كيف احتال الثعلب على الأسد حتى دفعه لمغادرة الجزيرة.

ومن ذلك ما زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبت فخرجت تتصيد، فصاد الأسد حماراً وصاد الذئب ظبياً وصاد الثعلب أرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب، والظبي لي، فخبطه الأسد فأطاح به، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا معاوية، فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك، فقال له الأسد: ما أقضاك! من علمك هذه الأقضية؟ قال: الذئب الطائحُ. ويقال في المثل الشعبي حول هذه القصة: قال من علمك هالقَسم المنسمح قال هالذِّيب المنسدح.

كما ذكر الدميري عن الشعبي أنه قال: مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فنمَّ عليه الذئب، فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني، فلما حضر أعلمه، فعاتبه في ذلك، فقال: كنت في طلب الدواء لك. قال الأسد: فأيَّ شيء أصبت؟ قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسل الثعلب، فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا حضرت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك. قال الحافظ أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق.

تعيش الثعالب حياتها في مجموعات، ريثما يكبر الصغار ثم تتفرق وتعيش فرادى، أو في أزواج، وتبدأ في تكوين جماعة جديدة. ويتصل أفراد المجموعة بالهرير والعواء، وهذا يساعد على تحديد موضع الثعلب المنادي، وكذلك تستخدم الرائحة حيث يرش

الثعلب بوله في مواقع معينة من المقاطعة التي يعيش فيها لتدل على أنه يحتل هذا الموطن، وتعمل الرائحة على إبعاد الأفراد الأخرى عن أماكنها التي تعيش فيها، ولا تشكل الثعالب جماعات للصيد مثل الذئاب. وللثعالب حاسة سمع حادة وحاسة شم قوية، تعتمد عليهما في الحصول على الغذاء.

ومن ناحية أخرى فإن الثعالب استعملت ذكاءها المفرط في أخذ ما تحتاجه من الطعام سواء من الفضلات حول المدن أو ممّا يربيه الإنسان من حيوانات أليفة دون أن يعرضها ذلك لمخاطر الصيد أو القتل.

قال الدميري: والذئب يطلب أولاد الثعلب، فإذا وُلد للثعلب ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها. ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شبعان، قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها، وهو من الحيوان الذي سلاحه سَلحه، وهو أنتن من سلح الحبارى، فإذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة، وتحصَّن بشوكه سلح عليه، فينبسط فعندها يقبض على مراق بطنه.

والثعلب معروف بروغانه وخبثه ودهائه في صيد فرائسه من الحيوانات البرية والأليفة، واتبّاعه طرقاً غايةً في الذكاء للحصول على غذائه، ولذلك ضرب به المثل في الروغان فقيل: «أروغ من ثعلب»؛ قال الشاعر:

خير الصديق هو الصدوق مقالةً
وكذاك شرهم الميون الأكذب
فإذا غدوت له تريد نجازه
بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

والثعلب معروف بفرط حبه لمهاجمة حيوانات أهل القرى وبخاصة الطيور الأليفة، ونتيجة لما يحدثه عدوانه بهم من ذل وهوان لتدميره مزارعهم وأكله محاصيلهم وطيورهم ضُرب به المثل، إذ يقال في القوم الذين يقع بينهم مثل هذا الفساد «بالت بينهم الثعالب»؛ قال عمرو بن الأهتم:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر
من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح ذاك الود بيني وبينه
كأن لم يكن، والدهر فيه العجائب

ويكنى ببول الثعالب عن الذل وهوان الأمر. يقول الجاحظ في الثعلب: إنه سبع جبان جداً لكنه لفرط الخبث يجري مع كبار السباع. وخبث الثعلب الذي يعنيه الجاحظ مرده قوة الحواس والمهارة والحيلة والصبر، وقد يكون ذلك لكثرة ما يطارده الإنسان وبقية الحيوانات

الأخرى كالذئاب والكلاب وأمثالها التي تنافسه في غذائه، فالخوف يبعث في الحيوان انفعالاً يجعله يستعمل كل قدراته في تأمين نفسه من غوائل المنافسين والأعداء. على أن من بين الأمثال التي قيلت في الثعلب ما ينحى به غالباً منحى آخر هو على الطرف النقيض من ذلك، فهي تدل على الخداع والمراوغة سلوكاً غير محمود، كما تدل على إيقاع الفساد، وأنه ذليل مهين بين السباع. كذلك بعض ما جاء عنه في الشعر، وكثيرٌ منه يذهب مثلاً، يدل على الذلة والغدر والخوف الشديد والرهبة ودنو المنزلة. وقد لخص الجاحظ في كتاب الحيوان ذلك في قوله: إن المرء يعجب من أنواع الحيل والنوادر التي يعملها الثعلب للتخلص من الأعداء أو للحصول على الغذاء، أو لتضليل المطاردين لدرجة تصل إلى عدم التصديق، ويقول: إن كان ذلك حقاً فما أعجبه! وإن كان باطلاً فإنهم لم يجعلوه له إلا لما فيه من الخبث والكيس.

والأمثال والقصص التي يرويها عامة الناس في البادية تشبه إلى حد كبير ما ذكر في كتب الأدب والقصص العربية القديمة، في الدلالات والمقاصد. يذكر أن ثعلباً كان يخرج كل ليلة إلى أطراف المدينة للبحث عن غذاء يصيده من القوارض والثدييات الصغيرة الأخرى، وقد تسلط عليه كلب يخرج إليه ويطرده عن هذه المنطقة، ولا يتركه يبحث عن غذائه. ضاق الثعلب بالكلب وقرر أن يحتال للأمر، وفي إحدى الأمسيات رأى الكلب الثعلب في المنطقة فعدا وراءه لإبعاده، جرى الثعلب بطيئاً أمام الكلب ليغريه بمحاولة اللحاق به، إلى أن اقترب من بئر قديمة في المنطقة، فأسرع الثعلب نحوها، وعندما وصل إليها غيَّر مساره فجأة، فما كان إلا أن سقط الكلب في البئر يعوي، فعاد الثعلب ونظر إليه وقال له بصوته المعهود: قاع قاع قاع.

ومما يروونه أيضاً أنه حدث قبل حوالي ٤٠ عاماً تقريباً في أحد أسواق المدينة، وهو سوق الحدرة أمام باب المصري، أن أصبح الصبح والثعلب في السوق، وكان الناس في طريقهم إلى الحرم لأداء صلاة الفجر، فهرب الثعلب وارتمى بقرب جدار وفتح فمه، وطرح يديه ورجليه جانباً كأنه ميت، وعندما طلعت الشمس جاء عمال النظافة، وكانوا يستخدمون عربات يدفعونها بأيديهم. وجد العمال الثعلب المتماوت وقد غطاه الذباب، فحملوه إلى العربة وأخذوه إلى خارج المدينة ناحية الباب الشامي حيث كانت تطرح القمامة، وعندما طرحت

الفضلات من العربة قفز الثعلب، وجرى إلى جبل سلع المطل على المدينة، وهو يصيح فرحاً بنجاته.

وحادثة أخرى مع امرأة كان لها دجاج تربيه في صندقة أمام منزلها، وكانت تقفل باب الصندقة على الدجاج ليلاً وتفتح له كل صباح لتخرجه. وفي أحد الأيام فتحت الصندقة لإخراج الدجاج فوجدته مقتولاً ومعه ثعلب ميت، صاحت بأعلى صوتها: دجاجي أكله الثعلب، وكان الذباب يحوم على الثعلب من كل جانب. كان الثعلب قد حفر تحت جدار الصندقة، ودخل إليها وأكل من الدجاج حتى ملأ بطنه، وعندما حاول الخروج من الفتحة التي دخل منها قبل أكل الدجاج لم يتمكن، فبقي محبوساً داخل الصندقة حتى الصباح. أخذت المرأة الدجاج الميت ورمته، وألقت الثعلب للأطفال يجرونه بذيله، ويلعبون به وعندما ملوا منه تركوه، وعندما أحس الثعلب أن الأطفال قد ابتعدوا عنه، قفز على قوائمه وانطلق إلى سفح الجبل وهو يصيح فرحاً.

وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان قصصاً شبيهة بهذه. قال: إن أعرابياً طارد مرة بكلاب له ثعلباً، فراوغه حتى صار في خَمَر (وهو ما يواري من الشجر أو الجبال ونحوها)، ومر بمكانه فرأى ثعلباً ميتاً، وإذا هو زكَر بطنه (أي ملأه بالهواء ونفخه) فوهمه أنه قد مات من يوم أو يومين، قال فتعديته، وشمَّ رائحة الكلاب فوثب وثبة فصار في صحراء.

وروى أحد كبار السن الثقات من أهالي المجمعة أنه كان في مزرعة له وبقربها جبل به بيت ثعلبة وقد وضعت مواليدها، وذات يوم جاءتها كلبة قريبة من المكان وأكلت أولادها، فظلت الثعلبة تطوح بصوتها -قع قع قع- طوال تلك الليلة، ومرت فترة من الزمن ولدت خلالها الكلبة، فما كان من الثعلبة إلا أن تحينت فرصة غياب الأم، وأخذت جراءها ورمتها في هبات (بئر غير مطوية وليس بها ماء) قريبة من المكان ثم جلست تتراقص وترقب عودة الأم، ولما عادت الكلبة ووجدت جراءها في الهبات أمامها ولا تستطيع الوصول إليهم أخذت تطوح بالأصوات والثعلبة ترقص فرحاً من صخرة إلى أخرى، وهذه تبين ذكاء الثعلب وقدرته على الانتقام ممن هو أكبر منه.

وكما حكى العامة عن الثعالب حكايات فقد قالوا فيها الشعر، فهذا الشاعر عبدالله بن فرحان القضاعي من بلدة السبعان من حائل ينظم في الثعالب قصيدة تحكي قصة درباسة، وهي أنثى

الثعالب، التي جمعت الثعالب لكي تحتال على صاحب المزرعة، وهو الشاعر، فيشغله بعضها باختطاف السريح (وهو حبل من جلد البعير من نوع القد) إلا إن صاحب المزرعة كان واعياً لحيل الثعالب فأطلق عليها النار من بندقيته مما جعلها تفر خائبة؛ يقول ابن فرحان في قصيدته:

دربـاسةٍ نـطـت عـلـى راس قنـه
تـبـكـي عـيـالٍ لـه بـقـاعـة غـار
تجـمّعـت بـاقـصى تـهـام وشرمـة
ووصـلـت جـروده ليـا خراب قـفار
جنـك مع المنـصل يهـشن الغـضب
ولا يمـشـن الا مـع هـبـاط غـتـار
نـطت رقـيـبـتهـن ثـنـية مـطـلـح
يـشـوف بـحـدري الـبـلاد سمـار
قـال ازغر الـعـينين ممـروط الذنـب
هـذاك رجـالٍ يـسـوق حـمـار
نادى كـبـيـر القوم مـن يسـبر العـدا
وله بوعـين من وسط السـريح خيْار
لكـن وحي لـي على سـمع هرجـه
دغـفت زنـاد العـوج للـعوج ثـبـار
وشغـلت زناد الـبر جيـت من تحت
لـيـا امـتـلا كـل الـبـطـين شـرار
نـادى كبـير الـقـوم ياقـوم انكـفـي
مـا يـنـقـرب هـذا جـدار ونـار

وأكل الثعلب (أبا الحصين) للسريح مشهور ومعروف عند أهل المزارع كانوا يرفعـونه في حال غيـبتهم عـنه خشية الثعالب، ولهذا قالوا في المثل «أبا الحصين يوم فاته السريح عض الدراجة».

وأورد الدميري من طريف ما يحكى عنه أن البـراغيث إذا كثرت في صـوفه تناول صوفةً منه بفـيه، ثم يدخل النهر قليلاً قليلاً والـبراغيث تصعد فراراً من الماء، حتى تجتمع فـي الصوفة التي في فيه، فيلقيها في الماء ثم يهرب.

وأهل البادية يعدونه من الـكلاب، مثل الذئـاب وابن آوى، وهو من هذه الناحية نجس مثل بقية الكلاب، ينجس الأدوات والأشياء التـي يلمسها. ومن طرائـف ما يروى فـي هذا السيـاق أن جماعـة من الناس كان لهـم شيخ في الحي يـجتـمعون لـلإفطـار عنده فـي رمضان، حـيث يحضـر كل منهـم ما يستـطيع من تمر ولـبن وخلافه، فقـال أحدهم يـوماً أن له شنة تمر، (والـشَّنَّة هي القربـة الصغيرة) ولكن قـد كرفها الحصني و(الكرف هو الـشم العميق). قال الشيخ: إن كان كرفها الحصين فهي حرام ولا تجينا ولا نشوفها. مرت عدة أيام واتفق أهل الحي إن يختبروا شيخهم هل هو على فتواه أم أن في الأمر فسحة؟ واتفقوا أن لا يحضر أحد طعاماً للإفطار في ذلك اليوم، وعـندما حضر الشيخ

قال: يا جماعة ما عندكم فطور اليوم؟ قالوا: والله ما فيه شيء غير شنَّة فلان. قال: اصبروا حنَّا ما سألناه أول هل الحصني كرفها بخشمه أم كرفها بذيله؟ إن كان كرفها بذيله فهي حرام ولا تجوز، وإن كان كرفها بخشمه فهي إن شاء الله طيبة ولا فيها شيء.

وكثيراً ما ضرب الحصين (الثعلب) مثلاً للخسة والدناءة؛ يقول خلف بن زويد:

دخيل يابني ياسلايل والدي
لا تصير للحصني سواة لعيب
من رافق الحصني دخل في مذاهبه
ولا يرافق الحصني نضايض ذيب

وقوله:

قامت بصاع المنكر الناس تكتال
ودلّت تباع الجوهره بالنحاسه
واشوف انا الاسود خشوعٍ وذلاّل
وقتٍ به الحصني يدور الفراسه

وقال بديوي الوقداني:

عنوانها يخبرك عن كل مضمرْ
شبت وشابت وابدلت عود بصْبَي
والنمر جَنَّبْ والحصيني تنمَّرْ
يحسب سباع الغاب من جملة الظبي

وقال شاعر آخر:

يا هجرة راحت بها الاذناب روس
شبعى ثعالبها جياع اذيابها

ولمثل هذا الشعر نماذج كثيرة في الثقافة الشعبية حيث يقرن الثعلب بالذئب غالباً كناية عن انقلاب الأوضاع من الرفعة إلى الخسة.

أما الأمثال الشعبية التي وردت عن الثعالب فكثيرة، مثل قولهم «أبا الحصين وارض ثري»، ويضرب مثلاً لانتهاز الفرص. وقولهم: «قال: من شاهدك يا أبا الحصين؟ قال: ذنبي»، ويضرب لمن يستشهد بشاهد غير مقبول الشهادة. وقولهم «غدا أبا الحصين». قال العبودي في الأمثال العامية في نجد حول أصل هذا المثل «أن الثعلب والغراب اتفقا على أن يغدي أحدهما صاحبه، فجعل الثعلب غداءه عصيدة رقيقة كالمرق وصبَّه على أرض صخرية، ثم جعل يلحسه بلسانه أما الغراب فإنه لا يستطيع أن ينال منه شيئاً. قالوا: لكن الغراب قابل ذلك بأن جعل غداءه قطعاً صغيرة من التمر ودسها في داخل شجرة شائكة وأخذ يدخل منقاره بين الأشواك ويلتقطها، أما الثعلب فإنه لا يستطيع الوصول إليها بسبب الأشواك».

وقولهم «كل للحصيني كيلة اسد» ويعني بمجمله الاستعداد للأمور بحزم وعدم استصغارها أو التهاون بها فهوان وضعف الحصيني وهو تصغير الحصني لا يعني التهاون في معالجة أمره.

ومن أطرف ما يتناقله أبناء البادية عن الثعالب أنه إذا رأى الأرنب جعل ذيله بين رجليه وتشبه بمشيتها، حتى تعتقد أنه أرنب ويقترب منها المسافة التي تمكنه من اصطيادها فيهجم عليها.

ومن الأساطير المروية على لسان الحيوانات أن الثعلب وجد ضباً على شجرة فلم يتمكن من اصطياده، فاقترب منه وقال له: لماذا لا تنزل يا أبا حمد، (يكنى الضب بأبي حمد لدى البادية) فقال الضب: إنك ستأكلني، فلماذا أنزل؟ فقال: يبدو أنك لم تسمع بالمنشور الذي عممه الأسد على الحيوانات بأن تتصافى ولا يأكل أحدها الآخر ولا يضره، فقال الضب: لم يصل إليّ العلم بذلك، قال الثعلب: إنه أمر صريح انظر له إنه في يدي فانزل، فقال الضب: انتظر حتى تمر هذه القافلة المقبلة التي معها كلب. قال الثعلب: إذاً سأختفي حتى تمر، فربما أن الكلب لم يصله العلم بمنشور الأسد فيهاجمني.

العائلة الضبعية

عائلة صغيرة العدد، يتبعها ثلاثة أجناس تضم أربعة أنواع. تنتشر أفرادها في أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط وجنوب آسيا، ومن أهم أفراد هذه العائلة الضبع المخطط والضبع البني والضبع المنقط، والعِسْبَار الذي يعيش في أفريقيا، وهو معروف بهذا الاسم في السودان، وهو يشبه الضبع المخطط، إلا أنه أصغر منه حجماً وله عرف مثل عرف الضبع وذيله كثيف الشعر. يتغذى العِسْبَار بالأرضة، وهو يستدل على مواضعها بأصواتها. ويمثل هذه العائلة في المملكة نوع واحد هو الضبع المخطط.

الضبع المخطط. الضبع اسم للأنثى ويستخدم أيضاً للذكر، والجمع أضبُع وضباع وضُبُع ويقال للذكر نعثل لثقل عدوه، وضِبْعان، وجمعه ضباعين مثل سِرْحان وسراحين، وتسمى أيضاً جَعَار، وجعر وذلك لأنها تجعر، وتسمى خزعل لضلعها وكذلك تسمى الوركاء لعرجها. كما تسمى العثواء لكثرة شعرها. وتكنى أم عامر، وأم نوفل، وأم جعار، وأم خنور، وأم طريق، وأم القبور. ويكنى الذكر أبا عامر، وأبا كلدة، وأبا الهنبر.

ينتشر الضبع في غرب آسيا، من البنغال والهند إلى الجزيرة العربية وشمال وشرق أفريقيا. وأكثر ما يعيش في الجزيرة العربية في المناطق الشمالية والجنوبية الغربية، ويعيش بعض الضباع في المناطق الساحلية. وينقسم هذا النوع إلى نويعين،

أحدهما في شمال المملكة، والآخر في جنوبها.

والضبع حيوان لا يمكن أن تخطئه، وذلك بسبب الخطوط السود على جسمه وأرجله. والجهة البطنية منه بيضاء، وله عرف مميز على ظهره، وتنخفض مؤخرة جسمه بسبب قصر أرجله الخلفية قليلاً، ويغطي جسمه شعر كث، وذيله ذو شعر كثيف، وينفش الضبع شعر العرف عندما يثار، فيزداد جرمه ويعظم مظهره، وهو سلوك يساعد على تخويف الكلاب البرية والذئاب كذلك يساعده على طرد بعض المفترسات عن فرائسها لكي يأكلها هو.

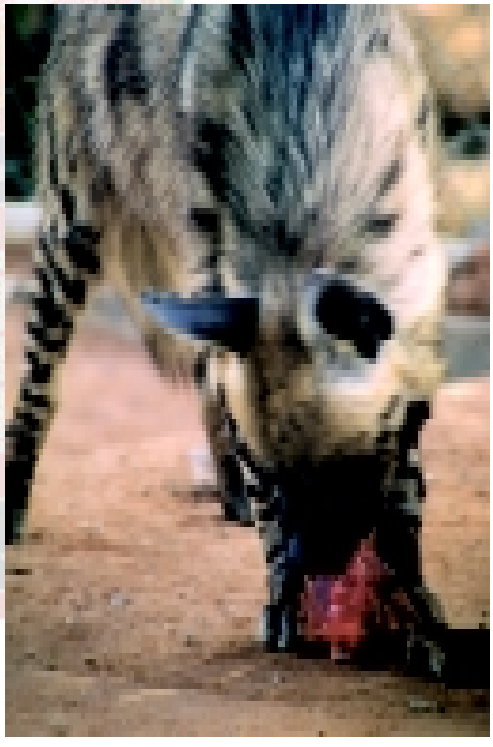

الضبع المخطط

ويعتقد أهل البادية أن الضبع سبع قوي، وهو يمثل عندهم سبع السباع، وكما يقولون فعله أكثر من اسمه، ولا يقف أمامه أي سبع آخر حتى النمر. وهو يعيش في المناطق الجبلية والوديان والحرات، وتعيش الضباع وحيدة أو في أزواج، ولا ترى معاً إلا في أوقات الجرية، أي وقت التزاوج، حيث تشاهد في مجموعات مكونة من اثنتين أو ثلاث أو أكثر، وفي غير هذا الوقت يكون كل بمفرده، ويعرف ذلك بالنظر إلى آثارها على الأرض.

ومن خرافات العرب قديما ما ذكره القزويني في عجائب المخلوقات من أن الضبع كالأرنب، يكون سنة ذكراً وسنة أنثى أي أنه يلقح في سنة، ويلد في سنة أخرى. وهذا القول غير صحيح. ومن خرافاتهم أيضاً قولهم إن الضبع إذا وطئت ظل الكلب في ضوء القمر، وهو على سطح، وقع الكلب فأكلته.

ويضرب بها المثل في التخريب فيقال «أعيث من جعار»، ذلك أنها تعيث في الغنم فساداً عندما تجدها ولا تكتفي بما يشبعها. ويضرب لظهور الفساد في كل مكان المثل الشعبي «كل دار به أم عامر»

ولكن إذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت لأن كل واحد منهما يمنع صاحبه. ولذلك تقول العرب في دعائها: «اللهم ضبعاً وذئباً» أي اجمعهما في الغنم لتسلم. ومنه قول الشاعر:

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها
يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وقد ارتبط هذا الفساد والتدمير بأن سمت العرب السنة المجدبة التي تأكل المال والغذاء وتفسد الحياة بالضبع؛ قال العباس بن مرداس السلمي:

أبا خراشة أمّا كنت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضّبُعُ

كما يضرب بها المثل في الحمق فيقال «خامري أم عامر» أي استتري أم عامر، وهو مثل يضرب للأحمق يجيء بالكذب الواضح الذي لا يخفى على أحد. وهي معروفة بالحمق لأنها لا تحذر من صياديها، وقد قيل إن الصياد إذا رمى في جحرها حجراً، خرجت إليه تحسبه فريسة تصيدها فيأخذها الصياد، كما يقول الصيادون على باب وجارها كلمات يصيدونها بها.

ولكثرة ما انطبع في أذهانهم عن حمقها أنهم قالوا إن الضبع تزعم أن أحلامها صادقة، وإذا حدث لأحد الوحوش شيء سرعان ما تزعم أنها رأت ذلك في المنام، فصدقها بعض الحيوانات وكذّبها بعضها. ويوما سألها أحد الوحوش عما إذا كانت حلمت بشيء سيقع ذاك اليوم. ردت بغضب وبلاهة: سيكون فيه صحو، أو غيم!!

يتميز رأس الضبع بالبنية القوية، وبه فكان قويان لهما القدرة على كسر العظام الصلبة وتفتيتها، وقد ساعدت هذه الصفة الضباع على تناول كميات كبيرة من العظام من الجيف وبقايا الفرائس التي تقتلها المفترسات الأخرى. وهي تفتت العظام وتستخلص منها المادة الغذائية ثم تطرح الباقي أو ترده من فمها مواد غير مهضومة. وقد جعلها سلوكها في غذائها هذا السلوك من أهم عوامل تخليص النظام البيئي من كثير من الجيف والفضلات التي قد يؤدي تراكمها إلى مشاكل بيئية سيئة، ولذلك يعرف الضبع بأنه من الحيوانات الكانسة.

ويصعب على الضبع الالتفات لتركب فقرات رقبتها المتداخلة، فإذا أرادت الالتفات أدارت جسمها كله، ولذا ضرب بها المثل الشعبي «اقفات ضبعة» لمن يذهب ولا يسأل عمن خلفه.

والضبع حيوان ليلي يستقر خلال النهار في الكهوف أو في جحور يحفرها في الأرض، ويخرج ليلاً للبحث عن

الضبع المخطط رأسه قويّ البنية

الغذاء، وأكثر ما يتغذى الضبع بالجيف، ورغم أنه متخصص في هذا النوع من التغذية، إلا أنه يتغذى أيضاً بالحيوانات الأخرى التي يصيدها، مثل الثدييات الصغيرة والزواحف والحيوانات الضعيفة أو الكبيرة السن وغيرها، كما يعتمد على بقايا الفرائس التي تقتلها السباع الأخرى. وللضباع أصوات مزعجة، والعامة تسمي صوتها (الفتيخ) يقول الشاعر عدوان بن راشد الهويبد من أهل حائل مشبهاً صوت حيران نوق حنت لأمهاتها بصوت الضباع (الفتيخ):

تتلي مصلّح ناقته والمشاعي
ربعي يدورون المغازي والاسفار
هل الشداد مدلهين القطاع
كم راسي حيدٍ زوّلوا عنه الاشجار
حيرانهم مثل فتيخ الضباع
وضحٍ تعاود بين ملحق وقهّار

وعندما تتعرض الضباع للخطر أو التهديد تعمل على انتصاب شعر معرفتها، إلا أنها غالباً تحاول الهروب في مثل هذه الحالات.

والضبع يتحمل العطش لفترات طويلة، ويحصل على الماء من فرائسه،

أو من النبـاتات التي يأكلهـا في بعض الأحيان.

تتجول الضبـاع لمسافات طويلة في مناطق معيشـتها، وتقوم بتعليم مناطق بارزة بمادة تشبه المعجون تفرزها من كيس في مؤخرتها، وتنقل الرائحة المنبعثة من هذه المادة معـلومات مهمة للـحيوانات الأخرى عـن جنـس الحيـوان وحالتـه وهويته.

ويعتقد كثير من أهل البادية خطأ أن الضبـع نوعان؛ ضبع الطـين، وهذا لا يأكل إلا الطين. وعندما يقتل وتشق بطنه فليس فيها غير الطين. والنوع الآخر هو الضبـع المعروف الذي يأكل الحـيوانات والنباتات مـثل الحبحب والقرع والقثاء وغيرها. على أن بعضهم لا يعتقد بهذا ويرجع السبب في وجود الطين في بطن بعض الضباع إلى أنه الغذاء الذي وجدته. وأنها قد تتغذى بالحيوانات والنباتات إن وجدتها. والطين ليس من غذاء الضبع أو غيره من الحيوانات.

وقد يكون إقبال عدد من أهل البادية والمناطق الجبلية على أكل لحم الضباع واستساغتهم له، مبنيـاً على اعتقادهم بأنها تتخذ النباتات والطين غذاءً لها. وقد عرف عن قلة مـن سكان المناطق

الضبع المخطط (شجار بين الذكور)

الوسطى والشمالية والغربية من المملكة أكل لحم الضباع. وتوصف بأن لحمها مثل لحوم الصيد الأخرى في المذاق والطعم. وهناك أُناس لا يستطيبون لحم الضباع ولكنهم يأكلون بعض أجزائها، مثل الكبد والشحم والمرق لعلاج بعض الأمراض. وقد عرف عن كثير من الناس ولعهم بصيد الضباع وهم في ذلك كمن يخرج للبحث عن الظباء والوعول وغيرها، كما يعتقدون بأنها علاج لكثير من الأمراض

وبوجه عام، يكره كثير من أهل البادية أكل لحم الضباع، بسبب أنها تتغذى بالجيف ولكونها من السباع، والسباع عموماً منهي عن أكل لحمها. ولكن العرب ما زالت تأكل الضبع. ولا ترى في أكلها بأساً كما قال عروة بن الزبير. وقد وردت الرخصة في أكل الضبع. روى جابر قال «أمرنا رسول الله ﷺ بأكل الضبع، قلت أصيد هي؟. قال: نعم» وفي لفظ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الضبع؟ فقال: هو صيد ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم» رواه أبو داود. قال ابن عبد البر هذا لا يعارض حديث النهي عن كل ذي ناب من السباع لأنه أقوى منه.

ويقوم آكلو لحم الضبع حال صيده بتجعيره أو جوعرته وذلك بإدخال خشبة طويلة بها مسامير في عكس الاتجاه في دبره وسحبها إلى الخارج لتخرج معها الغدة الشرجية التي تفرز الرائحة الكريهة قبل أن يستخدمها الضبع ويفسد طعم اللحم. وقد يستخدمون سكيناً حادة ويقومون بالتدوير حول فتحة الاست ويسحبون المستقيم وما اتصل به من القولون والأمعاء إلى الخارج للتخلص من هذه الغدة أيضاً ومنع تأثيرها على اللحم، ثم يذكون الضبع ويطبخونه.

وعلى الرغم من أن الضبع حيوان متخصص بأكل الجيف، إلا أنه يشكل خطراً كبيراً على مواشي أهل القرى والبادية، خاصة عندما يشح الغذاء، حيث تقتل الضباع كثيراً من الحيوانات. وهي معروفة بعيثها فساداً في الأغنام والماعز والأبقار إن وجدتها، حيث تقتل أعداداً كبيرة منها في وقت واحد. ولذلك فإن أهل البادية كثيراً ما يضعون السم في بعض الأغنام الميتة، لقتل الضباع والمفترسات الأخرى التي تقتل مواشيهم. وقد عرف الضبع كذلك بالسطو على الحمير المستأنسة التي يستخدمها أهل البادية في حمل أمتعتهم

وجلب الماء من الآبار. والضبع هو العدو الأول للحمار إذ يقتله حيث وجده دون أدنى مقاومة، والحمار يخاف من مجرد رائحة الضبع حتى لو كان الأخير ميتاً.

خرج جماعة من الصيادين بحثاً عن الضباع في إحدى الحرات جنوب المدينة حيث كانت هناك مضبعة، وهي المكان الذي تكثر فيه الضباع وجحورها، وأخذوا معهم طعاماً وشراباً وحماراً لنقل متاعهم ونقل صيدهم إن أصابوا شيئاً، وعندما وصلوا إلى المضبعة قيدوا الحمار، وذهبوا مشياً للكهف الذي فيه الضباع. وبعد أن صادوا الضبع حملوه حيث يوجد الحمار ليحملوه عليه، فلما شم الحمار رائحة الضبع، شخر شخرة عميقة ووقع ميتاً من شدة خوفه من الضبع. وما كان منهم إلا أن حملوا ضبعهم على ظهورهم وعادوا إلى منازلهم.

يسود الاعتقاد بين الناس في كثير من المناطق أن الضبع ينبش القبور ويأكل الموتى، وما يزال هذا الاعتقاد عند أهل البادية والقرى، وبسبب هذا الاعتقاد فإن الضبع يصاد ويقتل أينما يشاهد ويعلق جسمه على الأشجار والأعمدة. ولكن كثيراً من أهل الخبرة ينفون أن يكون الضبع نابشاً للقبور، ولم يعرفوا قبراً نبشه ضبع طيلة حياتهم، ويؤكدون أن هذا ربما يكون من عمل الذئاب خاصة، ذلك أن بعض القبور، سابقاً لم تكن تعمق جيداً، مما يجعل الجثة قريبة من سطح الأرض، ولذلك تشم الذئاب رائحة الميت فتنبش عنه وتأكله.

ومن الأمثال المشهورة عنها قولهم «مجير أم عامر» وهو يضرب مثلاً للمحسن الذي يكافأ بالإساءة. وقصة المثل أن جماعة خرجوا للصيد فوجدوا ضبعاً فطردوها حتى لجأت إلى خباء أعرابي فدخلته، فأجارها الأعرابي كعادة العرب وحال بينهم وبينها، وبقيت عنده يطعمها ويسقيها فترة من الزمن. وفي أحد الأيام بينما هو نائم وثبت عليه وبقرت بطنه ثم ولت هاربة، وجاء ابن عم له يطلبه فوجده مبقور البطن فعرف أنها الضبع، فأخذ كنانته واقتفى أثرها حتى أدركها وقتلها؛ وجاء في الشعر:

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاق الذي لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه
قراها والبان اللقاح الغزائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت
برته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من
يجود بمعروف إلى غير شاكر

وأهل البادية يعرفون الكثير عن الضبع وسلوكه وقدراته وأماكن معيشته، ويستفيدون من تلك المعلومات في صيده. ومن الصفات الغريبة في الضبع أنه لا يستطيع الوقوف والمشي حال قيامه من منامه، إذ تتخالف أرجله عند المشي، ولذلك سميٍّ «الوركاء، ونعثل»، والبادية تستغل هذه الصفة ويناورونه وهو على هذا الحال فيمسكون به ويقتلونه دون عناء. ومن سلوكياته الأخرى أنه لا يهاجم من يدخل عليه مغارته أو وجاره في الكهوف، وربما بسبب عدم الرؤية داخل المغارة. وقد ذكر أن من يدخل على الضبع مغارته ويمسكه ثم يأخذه إلى قرب باب المغارة يستطيع صيده بسهولة، بشرط أن يقتله قبل أن يرى النور، وإلا فإنه سوف يفترس صائده إذا رأى النور.

تعيش الضباع المخططة عادة منفردة لكنها تتجمع في أزواج خلال فصل التزاوج، وقد تبقى الذكور مع الإناث في الجحر نفسه الذي يضم الجراء أيضاً. وتحمل الأنثى لفترة تقرب من ثلاثة أشهر، تلد بعدها من ٣ إلى ٥ جراء،

الضبع المخطط

تولد عـمياً، وتربـى في الكهوف أو الجحـور لمدة تقرب مـن العام حيـث ترضـعها الأم وتجـلب لهـا الطعام، ويعـاون الذكـر الأنثـى في الـعنـاية بالصغار، وقـد يعمر الضبع لمدة ٢٤ عاماً في حدائق الحيوان.

يعتقد كثير من الأعراب أن الضباع والكـلاب والذئاب وأمثـالها تتـزاوج بعـضها مع بـعض لأنهـا من جنس واحد، وما زال بعض هذه الاعتقادات بين الـعامة في الـوقت الحاضر مـثل اعتقـادهم أن الضب سنة ذكـر وسنة أنثى، واعتقادهم أن (الذيخ) هو ولد الضبع من الذئب مـع أن هذا المسمى يطلق على ذكـر الضباع أو الكلاب. ويطلقون على الضبعة (أم خـميس). يقـول الشـاعر عبـدالله بـن فرحـان القضاعي من بلدة السبعان الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة حائل:

لى يـام خميـس ما عيـنتي قـعودي
واخوفـتي انك مـن حواله تـدوجين
أنـشـدك لـو انـتـي كـذوب ربـود
ولـيا عـملـتـي عمـلـةٍ ما تـقرّيـن
ما نـي طرف تَـرِيْـه كثـير جنـودي
وربعـي على حـقات مـثلي مـعيين
لى صار لـك من قفو سبـعة فْرودي
بـايّاتـهـن يـاشيـنـة الزول تـرمـين
ولـيا تـلولـس بك قـوي الـعضـود
عملـة عمر بالـلي هوا الحير وقـرين

قالت ترد عليه:

ذرّب جـوابك وانـدقـم يالـعبـودي
لا تظـلم الاجواد يـالشـايب الشـين
لا تـتـهمـن تـر مـا بالاتـهـام زودِ
ولا تصـدق الدعوى لما تـنظر العـين
أنا لـى اكلت الـشين ما نـي جحود
عـادات ربعـي ياكـلـون البـعاريـن

وكذلك يعتقد بعض الأعراب أن الله سبحانه وتعـالى لم يدع ماكساً أو ظالماً إلا أنزل به بلية، وأنه مسخ من الـظالمين ضبعاً وذئباً تسافدا وتناجلا. وقد أنـشد محمد بن السكن:

إن ربـي لمـا يـشـاء قـديـر
مـا لـشـيء أراده مـن مـفـر
مـسـخ المـاكـسين ضـبـعـاً وذئـبـاً
فـلـهـذا تـنـاجـلا أم عـمـرو

وتزعـم الأعراب أن تزاوج الـضبـاع والذئاب ينتج السِّمع. وهو ولد الذئب من الضبع، ويزعمون أنه لا يعرف العلل، ولا يموت حتف أنفه، وأنه لا يعدو شيء كعدوه، وأنه أسرع من الطير والريح. وكذلك العسبار ولد الضبع من الذئب قال الكميت:

وتجمَّع المتفرقون من الفراعل والعسابر

و«الفـرعل» هـو ولد الـضبع مـن الضبعان و«العسابر» جمع عسبار.

ويؤكد الأعراب أن الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب قال الكميت:

كما خامرت في حضنها أم عامر
لذي الحَبْل حتى عال أوس عيالها

وأنشد أبو عبيدة في ذلك:

والذئب يغذو بنات الذيخ نافلة
بل يحسب الذئب أن النجل للذيب

وهذا يفسر في زعمهم ما بين الضباع والذئاب من التسافد حتى يظن الذئب أن أولاد الضبع جراؤه، وهو زعم باطل.

العائلة العرسية

يتبع هذه العائلة حيوانات صغيرة، وأخرى متوسطة، ذات جسم متطاول، وأطراف قصيرة، وآذان قصيرة، خطمها قصير وأطرافها خماسية الأصابع، ولبعض الأنواع مخالب قوية. تنتشر العائلة في آسيا وأوروبا وفي أمريكا الشمالية وكذلك في أفريقيا. وتضم هذه العائلة أنواع الظربان وبنات عرس والسمور وأبو عفن، ويمثلها في المملكة نوع واحد هو الظربان.

الظرنبول. هذا اسمه في نجد وفصيحه الظَّرِبان بفتح الظاء وكسر الراء أو الظِّرْبان بكسر الظاء وإسكان الراء، ويقال أيضاً الظَّرِبي والظرِباء. كذلك يسمى في بعض المناطق ظرمبان، وظرمبون، وتجمع على ظرابين وظرابي وظرباء وتسمى الأنثى ظرِبانة.

يعيش الظربان أو الظربون، ويسمى أيضاً آكل العسل، في الجزيرة العربية، في المناطق الجبلية والوديان. وهو حيوان مميز بلونه الفريد، حيث يكون لون الجسم بنياً غامقاً أو أسود في الخطم والأجزاء السفلية والأرجل والطرف النهائي للذيل، أما سطح الجسم العلوي وسطح الرأس فأبيض أو مصفر، وجسمه قوي، والأطراف الأمامية مزودة بمخالب قوية كبيرة، تساعده على الحفر في الأرض واقتلاع الصخور والأحجار بحثاً عن فرائسه. وهو يعتمد لتحديد موقع فرائسه على سمعه ورائحة الفرائس. ويدافع عن نفسه بأسنانه ومخالبه القوية الكبيرة.

يعرف أهل البادية والقرى الظربان بلونه المميز. ويعدُّونه من الحيوانات القوية، ويصفونه بأنه قوي مثل الرجل الشديد، كما يصفونه بأنه حيوان جبلي، قليلاً ما ينزل إلى الوديان والأماكن المفتوحة، ويشبهونه بالقط لكنه قصير اليدين والرجلين، ممتلىء الجسم شديد القوة والعزيمة. وللظربان غدة مخرجية تفرز رائحة كريهة. ويعدّ لون الحيوان المميز عاملاً مهماً في تحذير الحيوانات

آكل العسل (الظربان)

الأخرى في البيئات التي يعيش فيها. ويتميز هذا الحيوان، بالإضافة إلى لونه، بريحه النتن أو فَسْوه الكثير، وهو معروف عنه، مشهور به، ويستخدمه في الدفاع عن نفسه وفي الصيد وتدويخ الفريسة، كما يفعل مع الضب عندما يجده. ويطلق العرب عليه مفرق النعم. وذلك أنه يتوسط الهجمة أي مئة من الإبل فيفسو فيها، فتتفرق تلك الإبل كتفرقها من مبرك فيه قردان فلا يردها الراعي إلا بجهد. وقد لاحظ العرب فيه هذه الصفة الغريبة ونعتوه بها، واستخدموها في الهجاء والذم، وسارت بها الأمثال، فيقال «أفسى من ظربان»، ويقال أيضاً «فسا بينهم الظربان»، وذلك عندما يتفرق الجماعة ويتقاطعون. كما يضرب بها المثل في سوء الرائحة والنتن؛ قال الحكم بن عبدل يهجو محمد بن حسان:

ليت الأمير أطاعني فشفيته
من كل من يكفي القصيد ويلحن
ألقيت نفسك في عروض مشقة
ولحصد أنفك بالمناجل أهون

إلى أن قال:

لا تدن فاك من الأمير ونحّه
حتى يداوي ما بأنفك أهرن
إن كان للظربان جحر منتن
فَلجُحْر أنفك يا محمد أنتن

وقد عرف العرب أن الظربان يستخدم هذه الخاصية سلاحاً فعَّالاً في صيد فرائسه، ويقولون إنه متى رأى الضب يدخل جحره، أتاه فسد كل

مخارج الجحر، وجاء إلى أضيق مكان وسده بجسمه ثم فسا فيه ثلاث مرات، فيخر الضب مغشياً عليه من الرائحة النتنة فيأكله ويأكل حسوله وبيضه. وينهر الناس في نجد من يفسو من الصغار في المجلس بقولهم «قم يا ها الضربول».

وقد استخدم العرب في الهجاء صفات أخرى إلى جانب الرائحة النتنة يرون أنها ذميمة في الظربان وهي أن لون جسمه، ووجهه أسود. قال البعيث المجاشعي في هجاء جرير:

سواسية سود الوجوه كأنهم
ظرابي غربان بمجرودة محل

وصفة أخرى للظربان استخدمت في أشعار الهجاء، وهي اللون الأبيض الذي على هامته، استخدمت لتشبيه ضربهم العدو المنافس؛ قال أسد بن ناغصة:

ألا بلغا فتيان دودان أنني
ضربت عُبيداً مضرب الظربان

والظربان حيوان نشط خلال النهار والليل، لكنه ليلي المعيشة خلال الصيف، يتجول لمسافات طويلة بحثاً عن الغذاء، ويسير بخطوات بطيئة، ويعتمد على الشم وحركة الحيوانات في تتبع فرائسه، وهو قادر على تحمل الظروف القاسية، ولا يحتاج إلى الماء كثيراً بل يعتمد على ما في الغذاء الذي يتناوله من ماء.

يتغذى الظربان تغذية مختلطة، حيث يأكل الحيوانات من اللافقاريات والفقاريات الصغيرة، مثل الحشرات والزواحف والطيور والثدييات. ويحفر عن البيض والمواليد الصغيرة باستخدام مخالبه القوية. وهو ماهر في الوصول إلى أماكن اختفاء الفرائس والأعشاش، وله قوة على تسلق الحيطان في طلب الطير، فإذا سقط نفخ بطنه فلا يضره السقوط، كما يتغذى بالنباتات مثل أنواع الخضراوات، وهي صفة تمكنه من الحياة والبقاء في المناطق الصحراوية القليلة مصادر الغذاء.

ويشتهر الظربان بمهاجمة مناحل العسل، خاصة المناحل التقليدية في الجبال. وفي أفريقيا يعتقد أن طائر دليل النحل يشترك معه في هذه المهمة حيث يدل الظربان إلى مكان المنحل فيهاجمه ثم يشتركان في اقتسام الغنيمة. ويستخدم الظربان أطرافه ومخالبه القوية في فتح هذه المناحل وإخراج العسل منها، وهي أعواد مجوفة من سيقان بعض الأشجار، مثل الطلح والدوم، ويسمونها في بعض المناطق خشبة أو

عود يضعونها في مكان مناسب قرب النباتات والماء، وآمِن من الحيوانات، مثل الظربان.

ويجتهد الظربان في الوصول إلى مناحل العسل ويصر على تسلق المناطق الوعرة التي بها خشب العسل. وعندما يصل إليها يدور حولها ليتمكن من إزاحة الأحجار التي توضع حولها لحمايتها. وله قدرة وذكاء في إزالة هذه الأحجار واحداً بعد الآخر حتى يتمكن من فتح المنحل وإخراج العسل الذي بداخله وأكله.

ولمعرفة أهل المناحل بخطر مهاجمة الظربان لمناحلهم، فإنهم يحرصون على وضعها في أماكن آمنة، وبناء أحجار كبيرة حولها لحمايتها، واستخدام الأسمنت والرمل لإحكام تماسكها. ولكن إذا لم يستطع الظربان فتحها وإخراجها فقد يتعاون أكثر من حيوان واحد في التصدي لها وإزاحة ما حولها من أحجار للفوز بالعسل الذي بداخلها.

وقد روى أحد أصحاب المناحل أن ظرباناً أتعبه في محاولة فتح منحله وأخذ عسله، فما كان منه إلا أن جلس في عربة حول مكان المنحل لحراسته. وكان الوقت زمن هياج الظرابي وشهوتها، أي وقت تزاوجها. وفي إحدى الليالي سمع الرجل صوتاً فنظر فإذا جماعة من الظرابين حول المنحل، وقد تقدم أحدها فأمسك بالحجر الذي يوضع في مقدمة العود لحمايته من الفتح. ثم أتى الثاني وأمسك بخاصرة الحيوان الأول وجاء الثالث وأمسك بخاصرة الحيوان الثاني، ثم صاح الأول، فبدأت في سحب بعضها بعضاً إلى الخلف فتحرك الحجر أو (المرداج) واستولت على العسل.

وتأكل هذه الحيوانات العسل وتحبه كثيراً، ولا تأكل النحل، وكل خشبة يأتي عليها الظربان، ويأكل منها فإنها تفسد بسبب رائحته النتنة، ولذلك لابد من إخراج الخشبة وغسلها وتنظيفها وتعطيرها بالنفض، وهي مادة من بقايا العسل تؤخذ من الخشبة ولها رائحة عطرة يحبها النحل وعادة يبني النحل الشمع عندما يجدها.

تعيش الظرابين في الجحور في المناطق الجبلية والوديان غالباً على هيئة أفراد، وقد عرف عنها أنها تستخدم الإفراز من غدد الرائحة في تعليم مناطق معيشتها، كذلك تستخدم الفضلات التي تضعها في مناطق معينة في طريقها الذي تسير فيه، وتساعد

هذه العلامات في تجنب المواجهة مع الأفراد الأخرى في البيئة التي تعيش بها. وقد تساعد في التعرف على الذكور أو الإناث الأخرى في المنطقة.

تتزاوج هذه الحيوانات خلال فصل الخريف، وتحمل الإناث مدة ٦ أشهر، وتضع من ٢ إلى ٤ صغار. وتعمَّر ٢٤ سنة تقريباً.